صراحة

من زمن التوهج

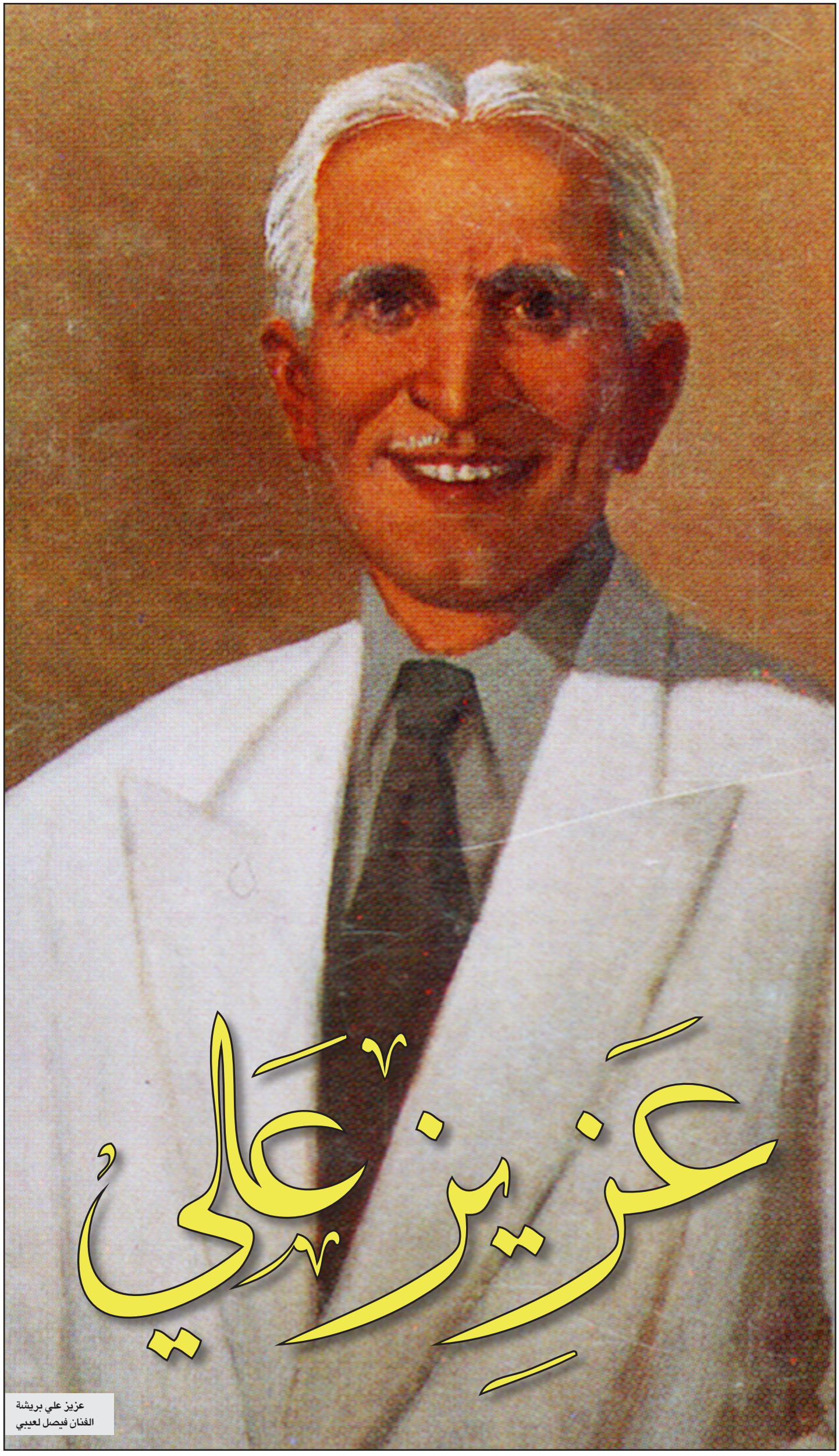

عَزيز عَليُ

عزيز علي بريشة
الفنان فيصل لعيبي

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1641) السنة السابعة
الخميس (29) تشرين الاول 2009

خالي . . عزيز علي

2

عزيز علي في حوار عن الفن والحياة

12

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

خالي . . عزيز علي

بعد اسابيع من وفاته تسلمت من قريبة لي مظروفا فيه صورة لعزيز علي، كان واضحا انها من صوره الاخيرة ، ان لم تكن آخر صورة له، مثل هذه الصور تدفع الواحد الى التمعن، واول ما يخطر بالبال انها صورة وداع او تلويحة مشوبة بحس غريزي باحتمالات موت قادم، رغم انها ملونة ومرتشة وملتقطة في ستوديو خاص، وحسب معرفتي به فانه لم يهتم بالصور، لكنه هنا، مقاد بغريزة شائخة يجلس على كرسي، والى جانبه ابنته (مي) واقفة وهي وأختاها آخر ما تبقى له من عائلته الكبيرة، فابناء وبنات اخيه الذين تركوا برعايته بعد موت الأب، تفرقوا بمصائر متباينة، بعضهم توفي والبعض قتل، والاخر استشهد ومن تبقى فرّ الى المنافي، اما ابنتاه الاخريان، سوزاو وايفون، فتزوجتا وانجبتا، في حين استشهد عمر، وكان في الثامنة عشرة في الحرب العراقية الايرانية، حين انفجرت الحافلة التي اقلته بصاروخ اثناء عودته في اجازة وكان الابن البكر، علي قد مات هو الاخر وعمره سنتان، ولست استطيع محو هيئة عزيز علي، يقطع دربونة (عكد) النصارى الضيقة حاملا بين ذراعيه ملاكه الصغير لينقله بالتاكسي الى مثواه الاخير.

صادق الصائغ

انه وجه طفل، رغم الغضون.

غمغمت وانا احدق في الصورة. بعض الطاعنين يراوغون الموت، بشرتهم تنكمش، وعيونهم تضيق، وجمجمتهم تتقلص، وشعرهم يشيب حتى آخره، لكنهم يكمنون دائما في ضحكة طفل، ولو تحدثوا لزاد اعتقادك بعبثية المفارقة، هل يمكر خالي اذن بضحكته هذه، ام انها فلسفته الموسومة بالتحدي حتى وهو على عتبة الموت؟

تذكرت المحاتين الاولى لسيدة تشيكية تأملته يوم كان في براغ والتفت اليّ قائلة.

ابتسامته ساحرة، من اين له مثل هذه الاسنان؟

والثانية قول للروائي التشيكي ميلان كوندرا، اوه الضحك، الضحك هو العيش بعمق لا نظير له.

واعتقد ان هذا ما احسته المرأة التشيكية في عزيز علي ولم تستطع التعبير عنه بدقة، وهو ايضا المضمون الذي يملأ مخيلتي كلما استذكرته وفي المشهد الزمن يقصف والاطفال يولدون ويموتون وابتسامة عزيز علي، انها تعيد الى الحياة شيئا ضروريا شيئا لاتعثر عليه حتى في الوجوه المتفائلة، انها بتركيز اكبر، متحدية وعميقة وتهتز لحساسية العصر، لذا، فان لاينتكس عزيز علي هو انتصار شخصي لي، انتصار للعائلة، لمخيلتي الشعرية وللزمن العراقي ككل.

متى احسست بوجوده أول مرة؟

كان يوما ربيعيا على ما اذكر، وكنت انا في رحلة طفولة او حلم، امي سحبتني من يدي وقالت:

-سنذهب لنرى خالك في السجن.

هكذا وجدت نفسي الى جانبه نجلس على بطانية فرشت في باحة السجن، وحولنا اناس يروحون ويجيئون وكأنهم في (كسلة) كانت امي مشبوحة تسأله عن المصير وهو يلهو بصماخي الحليق درجة الصفر، مطلقا في حناياي نزوة الضحك الكبيرة وانا من ناحيتي كنت سعيدا لان صماخي واذني الكبيرتين كانوا من ناحية مادة الضحك، ومن ناحية ثانية، غطاء لاطفاء وساوس الوالدة، ولقد كان هذا المزاج هو (نوتة) عزيز علي الموسيقية وهو نعمته الكبرى في قراءة الاحداث والنوازل، وانا كنت منحازا له ضد امي، اما الالم فقد كان راكدا في القاع، وكلما تقدم بي العمر زادت معرفتي بمساحته وزاد اعتقادي بأن الطاقة الاوقى التي انارت طريقنا جميعا.

انا واثق ان في ضحكته اصلا من الالم العميق لم يكن يريه لاحد، وكلما ادرت شريط (امان امان) وبغداد وهما من اوائل اطلاقاته الغنائية في ١٩٢٩ امسك بي ذلك الوجع الداكن، ولو تمعنا فيهما مجددا لوجدنا انفسنا قريبين من قلبه، وعدا الالم فانهما ظل جمالي ازرق فيهما يتبدى السبك الموسيقي لرهافة الغريزة.

ياهل العرب/ كل شي انكلب/ شفنا العجب/
من هالزمان
بس يازمن/ شفنا المحن/ غازي اندفن/
جوه اللحود
دنطينا حكنا/ وتجفي شرنا/ مشكل
امرنا
ولك يازمان

وبفضلهما نتوصل الى فجائعية اوزان موسيقية يندر وجودها في الالحان المشابهة (امان امان) كانت عن مقتل الملك غازي، وهو كما نعرف- ما اقل ما نعرف عنه- مغدور على يد الانكليز، متمرد ومساق بضرامات الشباب ويبدو لي انهم قطعوا نفس العراقيين عندما اعدوا له ذلك الكمين الفاجع.

ان تجربتنا في الحزن معروفة اغلبها بكائيات يائسة ومبتذلة يستوي في ذلك اللحن والكلام لذا ففي هذا السياق تبدو (امان امان) رفعة تتعدى قصر النظر الموسيقي السائد في المجالين انها جنائزية جليلة يسلخ فيها الجسد، لكن الروح تبقى معاندة ومتحدية حد القسم المغلظ، ويتم التعبير عن هذا بالموسيقى باعتبارها اداته الاساية، اداته الستراتيجية هذا التأليف يجعل من عزيز علي احد ارقى صعدات الموسيقى العراقية، وبرأيي ، وبصرف النظر عن المناسبة، فان (امان امان) تجدر باعادة نظر اوركسترالي، فمساحة الحانها واسعة ومتعددة وضرباتها تصل الى القلب العراقي، محيلة اساه الى سمو ومغيرة يأسه الى ارادة عادلة.

انني ابحث في ذاكرتي عن عزيز علي الحقيقي فارى الذكرى تتحول الى دوائر مائية، ويبدو لي في بعض الاحوال انه شخصية فانتازية تثير خيالي الطفولي ولاني مسكون بشيطان التساؤل فقد كان همي ان اراه لا كما يراه الاخرون ولا كما ينقله الوصف الخارجي له، لقد كان وضعه الاخاذ يملأني بالدهشة وتأتي النتيجة بلا شيء، فأزعم انني لم اره وبأن ما مضى هو مجرد اضاءات غامضة مضت بسرعة.

ها اني التقط احدى الومضات، عزيز علي يحمل طفله الميت (علي) يقطع افياء عقد النصارى في الصيف ووراءه جمع من النسوة، بينهم افراد العائلة وبعض المارة واطفال ووجوه مستطلعة اخرى، بعدئذ يصعد عزيز علي درجات عقد النصارى ويدلف الى سيارة تاكسي.

واين كنت انا؟ في حلم غامض بلا شك وليتني استطيع تحرير خيالي من بدلته البيضاء، لقد كان هذا الرجل مشعا ضمن مساحة رؤياي، مرة يأتيني على شكل موجة واخرى على شكل قامة فارعة، وانا بقصر نظري حائر ومشدوه.

لكن لماذا اروي هذا؟ لاقول انه يحضر من الفانتازيا الى الواقع بشكل حاد، بشكل قامة فارعة كما قلت، لقد كانت قدرته على التعامل مع الفواجع مشهودة، فهذا الرجل تعودنا كأداء يومي يمر من الالم الى البهجة وبالعكس، واظن انه لم تمض فترة طويلة على ذلك الحادث الحزين حتى ظهر في خيالي ببدلته المشعة البيضاء على قاعة سينما غازي في الباب الشرقي ليغني اغانيه السياسية امام جمهوره المشغوف فكان لم يحصل في داخله سوى تبدل فصول، وسوى ان الجرح تحول الى غناء، اما انا فقد كنت محشورا في طفولتي، روحي تبكي فرحا، وفي داخلي رغبة مكبوتة هي ان ادور على مقاعد الجالسين لاخبرهم واحدا واحدا، ان من يرونه على المنصة هو خالي.. خالي عزيز علي!.

لقد كانت تلك هي حفلته الاولى والاخيرة على مسرح مفتوح، اذ لم ارَ او اسمع بأنه فعل ذلك من قبل او من بعد كان يكره ان يوصف بأنه مغن، وقد زاد نفوره بعد ان اشير اليه كمطرب في واحد من الافلام المصرية- العراقية الملفقة اسم الفلم (ابن الشرق) قام ببطولته حقي الشبلي ومديحة يسري، وظهر فيه بأدوار ثانوية فخري الزبيدي وعراقيون اخرون لا اذكرهم، وحسب تقاليد افلام ذلك الزمن حشر حضيري ابو عزيز في اغنية ترفيهية، وظهر عزيز علي هو الاخر ليغني واحدة من اسوأ اغانيه كلماتها تقول (ياعمامي ياخوالي صارت الدنيا تحلالي)!

منذ وقت مبكر وانا اسمع منه في مناسبة واخرى، انه ليس مغنيا بالمعنى الشائع للغناء، وانه لايحب ان يوصف بهذا الوصف الذي ليس له اذا ماذا هو؟ وهل يتضمن الانكار احتقارا لفن الغناء الذي يجري في دمه وقال انه اسلوب رقيق للسمو الروحي؟ واضح انه كان دقيقا مع نفسه، فالطاقة التي فيه هي طاقة مركبة لها، اذا اطلقت مفعول التأسيس، وهو علانية، مؤسس مسكون بفن جديد سينضج على يديه، فن بعيد عن الابتذال والدنس اليومي وغباء الالات الادمية.

في محاولة لرفع الالتباس توصل الى المونولوج، المنولوجست لكن هنا معضلة اخرى، اليس هذا هو التهريج بعينه، اهو علي الدبو في بغداد، او شكوكو في مصر او غيرهما وهناك؟

لقد دفعته ثقافة لغوية مشهودة الى البحث في القواميس الاجنبية، يقول في مقدمة دفتر اغانيه، مونو- لوج مصطلح يوناني لاتيني مركب من كلمتين (مونو) تعني (واحد – فرد) و(لوج- لوجوس) تعني الكلام وتركيبهما مع بعضهما يعني (المقال الفردي- الخطاب)..

غير ان مضيه في البحث عن التباس اخر كان غير ذي بال، فما ورد في بال احد ان يصنف عزيز علي في خانة لاتسعه،

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

فاتساعه الحقيقي هو اتساع الشارع وايقاعه المجهول الاسم، هو ايقاع الحياة العراقية بأعمق اشكالها حيوية ودفقا، وليس يهم قطعا ان ينشغل عزيز في البحث عن اوصاف لاتعني احدا، فالاهم قطعا انه اول عربي يستصلح ارضا جديدة وينتج فنا سياسيا يتطابق والحياة المعاصرة ويترك ابلغ الاثر في حياة العراقيين، اما فيما يتعلق بموقفه من الغناء فقد كان مستشارا بالرتابة والضحالة، والحشرجة والتخلف والندب والنواح الخ وكان يردد قولا محرفا اسمعني موسيقى شعب انبيك بمدى حضارته، بل حتى بموقعه الجغرافي..

وفي رأيي فان طلعاته في التلفزيون يهاجم فيها الغناء المائع والشاذ، والمقام العراقي بصيغته الجامدة كانت محببة وذكية لكنها ليست دقيقة بما يكفي لان تسمو الى موقع الاختصاص وهو لحسن الحظ، انسحب تاركا للزمن الادلاء بدلوه، وكان واضحا ان ما رآه طيشا كان تعبيرا عن انحطاط شمل الحياة العراقية ككل، ولعله احس ان رومانتيكته النقدية تخنق طبيعته الاكثر حيوية، فلماذا يهتم بأغاني الاربعة فلوس، وهو ببشاشة فنه الضاحكة يستطيع تحريك حياة؟

كانت بغداد، حتى نهاية الخمسينيات، تزدهر على سجيتها في الرصافة وعلى امتداد شارع أبي نواس اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، الطبقة المتوسطة كانت تقاوم تسلط العادات وتحاول طرد الضجر والرتابة في الاندية والبارات والملاهي الليلية، حيث تتمرد الاحزاب بطرق جارحة وتظهر الراقصات والمغنيات بأزياء بغايا وبالعكس وفي الليل تظهر اختلالات المدينة بشكل سافر ويظهر الجمهور المشاغب بمظهر المستمع الامين لفن الغناء ومن لواحق هذه الالعاب ان تعلق صور الراقصات والمغنيات على أبواب الاندية والملاهي على انهن فنانات، اما في الداخل فالاسرار تنبجس بدون قناع، ومن هنا يجري تسريب بعضهن الى دار الاذاعة التي كانت بالنسبة الى ذلك الزمن، القمر الصناعي الوحيدة الذي يبث تقاليد الغناء الى اقاصي البلاد ولم يكن عزيز علي الا اخلاقيا فميا يتعلق بثقافة الغناء البغدادي الذي يبدو ان صياغاته وتشكيلاته كانت تجري هناك، فمن منطقة البؤس هذه حيث تجري عمليات العرض والتأجير تولدت اسواق عامة للاغاني لكن الى جانبها وربما من كمها العددي ظهر النوع الثاني، ذلك الذي قدمته المجموعة اليهودية، وزكية جورج على الخصوص بالاضافة الى شوارد الفولكلور والصياغات التي تتشكل على يد اهل الله، بالصدفة او بالغواية او بفعل مواهب بدائية، لقد كان عزيز علي يحب هؤلاء ويستسلم لالحانهم كما لو كانت من قلبه.

اذكر انه غنى اغنية (تاذيني) في السفارة العراقية في براغ عام ١٩٦٢ امام وفد عسكري زار البلد برئاسة وصفي طاهر، وكان عزيز علي يعمل دبلوماسيا في السفارة ولشد ما تمنى عليه قاسم حسين السفير آنذاك ان يغني واحدة من اغانيه لكنه ولسبب ما لم يفعل، وبدلا من ذلك فاجأ الحاضرين بأغنيته المفضلة (تاذيني) لزكية جورج، كان شيئا غريبا ان تتحول معاني هذه الاغنية البسيطة، بأدائه وعلى فمه وبدون موسيقى الى كلمات لؤلؤية، فكأنك تسمعها لاول مرة، والسبب في رأيي هو ان عزيز علي لم يكن يغني فحسب بل كان يشعر ويشرح ويتهدج، وهذا في رأيي ايضا هو الاضافة التي تنسب لما اسميه بالغناء التعبيري.

سألته بعد انفضاض المدعوين لماذا غنى تلك الاغنية فقال: لست اعرف، لكني شعرت بحزن جارف، فالبلد يحتدم والدنيا تكفهر والمستقبل يتوعد ببدء الصدام المدوي، لقد احسست بعمق الجرح فما وجدت غير تلك الاغنية على لساني، وكان احساسي عميقا بأنها ستوحدنا في تلك اللحظة.

لقد كان مصيبا في تعرفه على دفين تلك الاغنية، والاغرب انه كان بمخيلته المرهفة يحول هذه الاغنية الى رمز وطني، وهو بتلقائية وبحنجرة تعرف الالم حول مخيلة الحاضرين معه، دافعا اياهم في غير الوجهة التقليدية التي يعرفها الناس عن تلك الاغنية.

عند منطقة الوادي في كربلاء وقريبا من بيت المتصرف كان بيت عزيز علي وكان هذا بالنسبة لي انا الطفل الذي يأتي في العطلة الصيفية من بغداد الى كربلاء بمثابة عالم ما قبل الهبوط الى الجنة، البيت بناء شرقي تقليدي مؤلف من باحة وحديقة وغرف ذات اعمدة خشبية ومكامن لاعشاش السنونو وسرداب خالد موصول بباب الجنة وهواء بارد، وظلمة ظهيرة ساحرة واحلام تورق لتهبط بالروح الى مهاوي النوم وغفو الطفولة في هذا المكان كان عزيز يحرث مكامنه، اعني في الباحة ذات الطابوق الفرشي المرشوش عند العصر يحضر عبدالوهاب ايضا، كل صور افلامه وبطلاته معلقة على الحيطان (رصاصة في القلب) مع راقية ابراهيم (يحيا الحب) مع ليلى مراد (لست ملاكا) مع نور المهدي، كذا مع رجاء عبد والخ، اما هو فيجلس على التخت وبيده العود خلال اسبوع يتوجب ان يولد هنا مخلوق كامل يتألف من كلمات ولحن واداء، خلال اسبوع يتوجب عليه الذهاب الى بغداد لاجراء التمرينات مع الكورس والعازفين ثم اطلاق الحركة الاخيرة امام المايكرفون ببث حي، هل يحصل هذا في بلد آخر؟ وهل يعتبر ضغط الزمن آفة ام ضمانة للخصوبة، المكثفة؟ هل يذكر الناس حرقة الترقب والاثارة التي تشتعل في عيونهم عندما تعلن ساعة اذاعة بغداد السابعة عصرا كل اربعاء؟ هل يتذكرون كيف الشوارع تخلو والحركة تهدأ والكل نساء ورجالا وشيوخا لصق الراديو، الى ان ينبجس صوته ليفرض الصمت المتلهف في العيون والاحداق، وليتسلط على الوطن الكبير بهبوبه المجنح؟

نعم على ذلك التخت كنت ارقبه، العب في الباحة وهو يعزف ويدندن، يكتب ويشطب ويعيد التصحيح، الى ان تفلت منه صرخته الشهيرة (ابن الكلب!).

ثم يقبل عند ذاك نحوي فيحملني بيديه، او يدور بي في الباحة ممسكا بيدي، او يقذفني الى الفضاء فأهبط، غاصا، الى ذراعيه، اما (ابن الكلب) فهو المعادل لـ(وجدتها) يقولها لي، ويطلقها في وجهي بعد استعصاء لحن او بيت، وهو في تعبيره الاثير هذا يمنحني اقصى حبه لانه انذاك كان بلا ذرية وكنت انا عنده الاحب، او على الاقل ثلثاي منه وعليه، كما يقول المثل الشعبي.

يوما ما، قلت له، وكان يشرح لزائريه معنى المونولوج مصرا على انه (منشد) لامغنٍ:

-الناس ياخالي لاتهتم بفروقات الالقاب، فما الضير في ان تكون مغنيا او ملقيا او منشدا او مونولوجست؟ انت ياخالي عالم خاص، انت تهز البلد، فما لك مشغول بما لايقنع احد؟

التفت الى زائره وقال:

-شوف الابن الكلب، دائما اقول لو كسرت عظمه يطلع شيوعي!

اما انا فأردفت:

-هناك ياخالي غناء تعبيري لا يأبه بالتطريب، وانت ضمن ندرة، منهم ارمسترونغ مثلا، لست تطريبيا، صوتك طيف عريض يغطي مساحة حياة كاملة، وامتيازك ان اي انسان يستطيع ان يغنيك بمشاعره دون ان يحتاج الى صوت جميل.

كان هو يستمع بذكاء يمنعه ان ينخدع بشيء، وعندما يتمتع عن المداخلة يلجأ الى جملته الاثيرة.

-ابن كلب، الم اقل ذلك؟!

نفس (ابن الكلب) تلك يهش بها ويبش من الباب عندما يزورني في المواقف.

في العام ١٩٥٦ ايام العدوان الثلاثي على مصر وقف وراء القضبان في باحة موقف الدوريين واطل على مجموعة الموقوفين المحشورين في مساحة ضيقة، هم بدورهم ما صدقوا انهم امام عزيز علي المتظاهر بأنه غير معني بغير ابن اخته وبأن السجن لم يكن يوما ما مسقط رأيه غير انه هو المعمد بالضحك، اطل من قناعة ليخاطب الجميع:

-ستغيرون العالم مو؟

كانت جملته تلك فسحة للتنفس ولم تمض دقائق حتى شاع الاسترخاء المعاتب وتتالت ضحكات رنانة ومؤنسة:

-مع ذلك فستلتهمكم الكبرياء.

واضاف بضحكة عريضة:

اعلموا ياجماعة، هنا لاتنبت شيوعية، في احسن الاحوال ينبت هنا زعرور!

وفي الوداع قال:

لا احب ابن الكلب هذا لانه يسبب لي مشاكل كثيرة، كما لا احب شيوعيتكم، مع ذلك (فما العمل) كما يقول المعلم لينين اذا كنت انا احب الاصالة؟.

يجب الرجوع الى اخلاقيته التي تكره التناقض وفي اخلاقياته طرح الصراع على ارض مكشوفة ولقد تسبب رفضه لان يحشر ضمن الطائفة اشكالات اضافية حتى بين المقربين اليه، خاصة وانه يترجم تحدياته الى سلوك يومي، فأسماء ابنائه مثلا تدرجت كالتالي (علي، عمر ايفون، سوزان، مي) اي تجمع لحبال الروح العراقية في وحدة تتجاوز الطائفة والعشيرة والدين والعصبيات الاخرى، وتبدو اليوم وكأنها رد على مايعصف بالعراق من رياح تتقصد فصله عن جذوره وتقطعه الى اوصال، حتى انا عجبت لما سمى ابنه الثاني عمر، ولقد عبرت بتردد لزوجته نورية عن حيرة كظيمة، فكأني نسيت انها هي الاخرى يهودية اسلمت بعد الزواج، واذكر انه بعد ان نقلت له حيرتي، خرج من السرداب بالبجاما ليقرص اذني قائلا:

عليك ان تقرأ كثيرا لتعرف من هو عمر، لقد كانت تلك نقلتي الى رحاب معرفية اخرى، وعرفت بعد تنقيب في المكتبات كيف يفسر الدين الواحد بعدة السنة غريبة وشاذة وجاهلة، وكيف يتوجب النظر الى الاصالات بدون اية شروط مسبقة، والان انا اعرف انه من اجل خاصيته تلك ولكونه يحمل وجه المفكر الذي يهبط ويصعد في مجرى زمنه الحقيقي، فقد تعين عليه ان يدفع ثمن ماضيه وحاضره، لقد وجدت وانا اراجع مقاطع الزمن اننا تشردنا لاسباب متشابهة، كلانا ذاق طعم الاعتقال وتهافت السياسة لكنه هو وحده الذي واجه الموت، وهو من قضى اكثر من تسع سنين من مجموع خمس عشرة وراء القضبان، هو وحده التقى بوجه موت مجاني، فلا احد يرى ولا احد يسمع او يسأل فالجميع في جبهة وطنية وانت وحدك في اتجاه آخر، افليس عجيبا ان يختصر كل تراث عزيز علي، كل حضوره الاصيل، كل فضائه الممتد على سقف العراق، بزنزانة صغيرة، اي مجد ابقى لسارق النار، واي عراق غريب هذا الذي تحول على يد صدام حسين الى سجن له؟

يمكن لمن يعرف كيف يقرأ عزيز علي جيدا ان يتوصل الى ان منظومة افكاره قلبت العراق صفحة صفحة، اذ لا تفصيل او سياق تاريخي حبك بهذه المهارة وعولج بمعرفة صادقة للبلاد وبنبض انساني يمهد لعصر التعدديات والجماعات الانسانية العريقة، لكنه كأي متحرر ومتنور وممتنع اكل من داخله في زمن الجبهة الوطنية، اكله تخلف العشيرة والمؤسسة والدولة وبالتالي سحق صوته مع صوت الجمهور بصرير الالة الصدامية.

لقد زرته في سجن ابو غريب بعد ان حكم عليه بخمسة عشر يوما، لم تدم المحاكمة اكثر من خمس دقائق، ذكر فيها الاسم والعنوان واشياء روتينية اخرى، ثم صدر الحكم الذي اعد مسبقا، كنت افكر وانا اعبر ممرات السجن الشاسع وامعائي تكاد تفرغ ما فيها من شدة الالم، وكيف تفكر هذه الروح بما اعطت وما اخذت ؟ كيف وهي التي حرثت الارض وقلبتها من اجل الزراعة؟ اكانت اذن حمقاء عندما نابت عن شعب كامل؟ هل يمكن ان تتفكك المعاني الى هذا الحد فتصبح مضحكة من شدة فجائعيتها ومن شدة استعصائها على التصديق؟

عندما التقينا تعثرت التمتمات وامحت الجمل وغاب عن ذهني ما يمكن ان يقال، رعفت بصري مرات، ثم غضضت الطرف مرات اخرى ثم سكت لي لا اتخبط في الحديث عن لاشيء.

هو، بذرة ما تزال تحمل في طياتها شيئا من البشاشة القديمة تساءل:

-هل تكتب هذا في الجريدة؟

لاشك انه يسخر مني، اية كتابة، واية جريدة، في (الف باء) التي كنت اعمل فيها موظفا ام في (طريق الشعب) التي كنت اعمل فيها محررا وكانت مورطة في طيرانها الحالم عن آفاق التحالف، بعيدا عن فحيح الواقع وعبثيته؟.

كنت في داخلي اعرف ان لاشيء يجدي لقد ترك عزيز علي لعزلة لها الف موت، وفي غياب الجرأة، وغياب الحيلة، وغياب حساسية الاحتجاج يمكن ان يحدث اي شيء، يمكن ان تتحول المعاني آنذاك الى حروف ساكنة لاتعني احدا ولا يحتاج اليها احد.

للحق، لاشيء يدحر ضحكته الحكيمة، ضحكته المبطنة الذكية، كان يعرف طبعا ان الجبهة مسخرة وان احدا لايستطيع شيئا، وان عليه، كالسابق ان يواجه مصيره وحده، او ان يكتب لصدام، كما فعل ويفعل الاخرون.

وهو في السجن اخبر بموت زوجته نورية بالسرطان، وكان قبل موتها بأيام طلب من ادارة السجن ان تسمح له بالقاء نظرة وداع اخيرة، لكن طلبه رفض وبعدها استشهد ابنه عمر.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

يوسف العاني

ليس هذا رثاء لفنان مات! فقد بدأ الكبار يتساقطون واحدا اثر واحد وبدأت اشعر ان (البستان) سيصبح ارضا جرداء بعدهم..!
فلا نعود نقول عندنا بستان/ جنة من هالجنان بيها ما تشتهي الانفس/ والفواكه الوان.
والارض مفروشة بالسندس/ كلها ورد وريحان.
كما كان يقول الفنان الكبير الذي مات قبل ايام.. عزيز علي.. او اننا نستطيع ان نستسير الدكتور فنقول له:
دكتور.. دخل الله ودخلك ما تداوينا.

ليس رثاءً بل هو استذكار

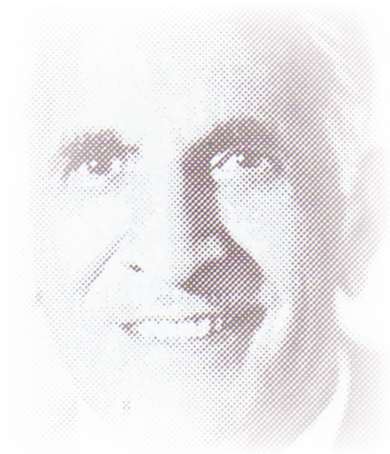

لم تعد هذه الاقوال ناقصة لكي يبقى الكبار في بستان الحياة.. بستاننا الذي عشنا فيه زمنا والفن والابداع فيه يتألق من حسن الى احسن والمبارات والمباهاة تهزان الخطى وتحتضنان الصح لرعايته وتعميقه..

عزيز علي.. رجل تجاوز الثمانين.. وموته سنة من سنن الحياة.. لكن الذي يحز في النفس.. ان يموت ولاندري بموته الاّ بعد ايام وان جيلا بكامله لايعرف من هو عزيز علي لكنه يعرف احمد عدوية ويعرف اسماء كثيرة جوفاء الا من نزق كلامي ولحن مائع وحركات عابثة تعيش بينهم.. لا اضع الحق على هذا الجيل وحده ولكننا نتحمل اللوم.. جميعنا لاننا لم نكن نحرص على هؤلاء الكبار ولا على مكانتهم وفنهم حتى صاروا نسيا منسيا!..آخر مرة التقيت عزيز علي.. في طريقه الى احتفالية الرواد حيث كرم رائدا لفن المنلوج بحق وجدارة واستحقاق.

كان يجلس في السيارة،، اقتربت منه وسلمت عليه.. فرح وصرخ لك هلو داد يوسف، قبلته.. قلت له يالله واشرت الى الباص الذي ينقلنا الى مكان الاحتفال.. نظر في وجهي ولم يقل شيئا.. فقد جاء شاب كان معه وحمله الى الباص فقد كان عزيز علي مقعدا.؟

في قاعة الاحتفالات كنت انظر اليه من بعيد.. وهو ينقل ويحمل من مكان الى مكان.. وقرأت الاحتفال في وجهه ووجوه الاخرين الجالسين.

عزيز علي.. هذا الاسم الذي كان يهزنا.. ونحن طلبة في الابتدائية ثم في متوسطة الكرخ قبل الاربعينيات وبعدها فيوم موعد قراءة منلوجات عزيز علي والتي بدأها منذ نشأة الاذاعة عام ١٩٣٦.. كان يوما مشهودا.. ففي تلك الامسية،، تجتمع في بيتنا النسوة والصغار.. وفي قهوة (احمد الجداع) بخضر الياس يجتمع الرجال ويقترب الاولاد من المقهى وكلهم انصات لعزيز علي وصوته يجلجل نص الليل فزيت من نومي/ شلكي؟ الكيلك هوسة بمهجومي، وتتعالى الضحكات.. وتتردد الاحاديث من تعليقات.. ونقاشات فعزيز علي كان اللسان الناقد من دون خشونة او جرح او اسفاف وكلماته منتقاة.. وتأثير غنائه عميقا في القلب والعقل.. فقد كانت البدايات.. وكما يسميها (المقالات الملحنة) لان تعبير المونولوج.. لم يكن بقوة هو.. فقد كان يأخذ عند البعض لونا من التهريج غير المستحب..

ويستمر الصوت الداوي في الاذاعة ويعلن عن موعد آخر.. عصرا.. فتشيع حركة اخرى بين الناس، الحمالون في الخان، والمثقفون في المدرسة وكبار السن والصغار الكل على موعد.. واتذكر اننا كنا نحجز محلا لبيع المرطبات في الشواكة نجلس فيه مبكرين.. ونطلب اكثر من قدح من (الدوندرمة) انتظارا لعزيز علي وهو يعاتب الذين يقصرون بحق بغداد:

كالت اسمع يابني واسمع تمام
اني بغداد وانا دار السلام
والله عجزتوني بالحب والغرام
ماشفت منكم ابد غير الكلام!.

نهرع راكضين الى الاذاعة لكي نرى عزيز علي خارجا من هناك لنصفق له ونقرأ له بصوت عال مقطعا ادخله في المونولوج نفسه بغداد يابلد الرشيد/ ومنارة المجد التليد.. للشاعر علي الجارم من قصيدته التي القاها عام ١٩٣٧..!

وتسير الحياة ويواكبها عزيز علي.. وتتعالى كلماته نقدا سياسيا يبهر النفوس والعقول كعادته كل اربعاء فنسمع عام ١٩٤٨.. منه.. منه.. منه.. منه.. كلها منه مصايبنا وطلايبنا كلها منه!..

عزيز علي.. رجل تجاوز الثمانين.. وموته سنة من سنن الحياة.. لكن الذي يحز في النفس.. ان يموت ولاندري بموته الاّ بعد ايام وان جيلا بكامله لايعرف من هو عزيز علي لكنه يعرف احمد عدوية ويعرف اسماء كثيرة جوفاء الا من نزق كلامي ولحن مائع وحركات عابثة تعيش بينهم.. لا اضع الحق على هذا الجيل وحده ولكننا نتحمل اللوم.. جميعنا.

ويزمر للمستعمرين وعملائهم.. ويردد مناديا العرب.. مستصرخا ضمائرهم وفلسطين العربية تستباح..

وتظل مقالات عزيز علي الشعرية الملحنة علامة من علامات الخطر وجزءا من ضياع انساننا العربي فيقول او يغني عام ١٩٤٩..

تهنا بها لبيدة وضيعته
ويتيه اللي ماله دليل
بس نتلافت يسره ويمنى
ولاندري ليادرب نميل
وين الحيد اللي يرشدنه..

وفي العام نفسه يقرأ لنا (السفينة) ثم (البستان) وصلي عالنبي مالح وطيب لبلبي.. عام ١٩٥٤ واسكت لاتحجي تبتلي.. عام ١٩٥٦ وكل حال يزور ١٩٥٨ ثم.. no وهكذا رسم هذا الفنان لفن (المقالة الملحنة) او المقالة الشعرية الملحنة.. المونولوج مكانة لم يرق اليها.. في تقديري اي فنان آخر.. فقد كان عزيز علي يختلف عن مقدمي المونولوج برصانته وعدم اعتماده على الحركة غير المتزنة كما كان الشائع عند الاخرين في مصر مثلا اسماعيل ياسين او شكوكو.. بل حول صيغة الاداء الى نوع من المهابة التي تخاطب العقل.. وحين توقف راح يعمل في مدرسة الاطفال الموسيقية.. حتى احال نفسه على التقاعد ولم يتخذ النظم والتلحين والانشاد وسيلة للتعيش والارتزاق ولم يظهر في حلقة خاصة باجر او من دون اجر..!

فليس غريبا حين يكتشف فوضى الفن وسطحيته واسفافه ان يقول:

انعل ابو الفن
لابو ابو الفن
موراح انجن
ما اكدر اكولن
بغلتي ببريجي
والمن اكولن

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

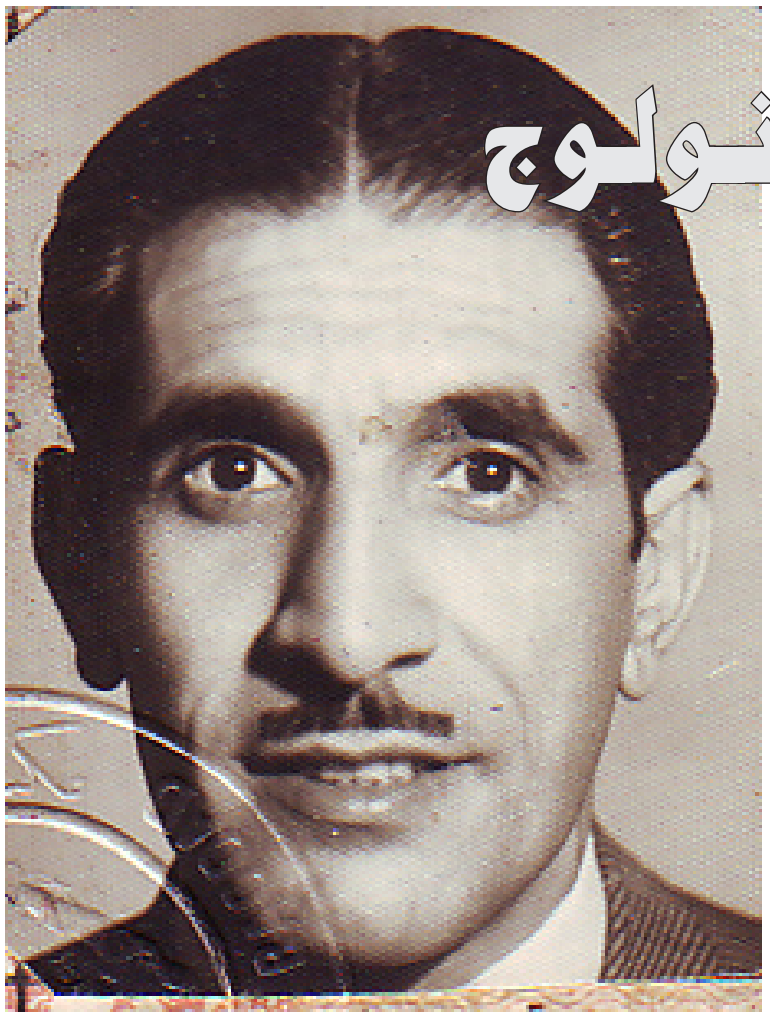

عزيز علي وفن المونولوج

باسم يوسف يعقوب

المونولوج: هو الاسم الافرنجي المستعار للطقطوقة التي تلت زمنيا قوالب القصيدة والتوشيح والدور والموال، وهو عند الاوروبيين يعني الضحك والتمثيل باستخدام اطراف الانسان ووجهه في التعبير بينما يعني في الغناء العربي الخفة والرقص وهو من الغناء الانفرادي،

وكلمة مونولوج مشتقة من لفظتين هما (مونو) وتعني مفرد و(لوج) وتعني الاداء او الالقاء، باستخدام شعر الزجل في اغلب الاحيان اضافة الى الشعر الفصيح، وللمونولوج والطقطوقة اوزان شعرية متعددة معتمدة اسلوب المحاكاة والراوية في الاداء، ولقد ظهر هذان النوعان من الغناء في بدايات القرن العشرين نتيجة لبعض المحاولات للشعراء والملحنين لاطفاء سمة الخفة والرقص والمرح على الغناء بعد ان كان مقتصرا على الاسلوب الثقيل والمتقن، وتماشياً مع سرعة ايقاع الحياة باستخدام الصيغ الشعرية البسيطة والالحان الخفيفة وبأداء نقدي هادف لمعالجة نواحي اجتماعية سلبية كثيرة ومنها الولوج الى عالم السياسة بالكلمة الساخرة التي غالبا ما تحقق اهدافها بالنقد بأقل الاضرار على المؤدي والمتلقي، واشتهر في هذا النوع من الاداء الفنان شكوكو في مصر وعزيز علي في العراق وآخرون على المستوى العربي ولقد كان للملحن سيد درويش محاولات كثيرة في معالجة هذا النوع من الغناء ومنها استخدامه في الروايات الغنائية المسرحية مثل (راحت عليك) وتبعه بذلك الملحن الكبير محمد القصبجي الذي حاول تهذيب المونولوج ووضع مقدمة موسيقية له ومن مونولوجاته (ان كنت اسامح وانسه الاسية) كذلك قامت ام كلثوم بتلحين مونولوج باللغة الفصحى (يا نسيم الفجر ريان الندى) اضافة الى (بلبل حيران على الغصون) لمحمد عبد الوهاب، واخرين غيرهم، والذين برحيلهم اضمحلت الرغبة الجدية في الاستمرار بهذا الاداء، ونرى ان الكثير من المتخصصين مازالوا لايميزون بين المونولوج والطقطوقة، برغم التطابق في اساليب النغم والتلحين والهدف وفق المقاييس الادبية والموسيقية لكون الطقطوقة هي نفسها الاغنية البسيطة اللحن والكلمات والاداء وتسمى (اهزوجة) معتمدة على شعر الزجل ايضا وتتكون من مذهب شعري واحد ثابت ومجموعة اغصان ويشترك المرددون (الكورس) بها مع المطرب في ترديد المذهب بين اعضائها وكانت بين نشأتها في بداية القرن العشرين تبنى على مسار لحني واحد متشابه ولم تكن معروفة في الشعر العامي المصري سابقاً حتى ظهور (ابن غارق وابن قزمان) قبل ثمانمئة عام تقريباً حتى بروز ابن عروس ومن بعده عثمان جلال وعبد الله النديم، والمهم ان المجتمع العربي الان لا يميز بين هذين النوعين من الغناء مطلقا تسمية اغنية على كليهما، حتى ان الشاعر الكبير احمد رامي الذي اشتهر في هذا النوع من الشعر عدل عن تسمية شعره العامي مؤخرا بهذه التسميات مطلقا عليها تسمية (مقطعات) وفي الاونة الاخيرة امتزج هذان النوعان مع بعضهما واتخذا شكلا جديدا في اسلوب الحوار والترديد الجماعي ولم يعد التفريق بينهما واقعيا واعتبر هذا المزيج النواة الحقيقية للاغنية العربية المعاصرة التي ظهرت في عقد الاربعينيات ومنها مثلا (رق الحبيب- سهران لوحدي- جددت حبك ليه- انت عمري).

فنان الشعب

باسم عبد الحميد حمودي

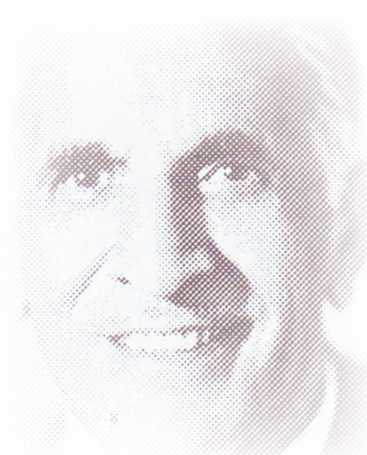

لايعرف الفنان الكبير. عزيز علي. تاريخ ميلاده الحقيقي، هذا ماكتبه رحمه الله عن حياته لكن المعروف انه من مواليد عام ١٩٠٨ وقد ولد في كرخ بغداد واكمل دراسته الابتدائية عام ١٩٢٤ واستمر في الدراسة لفترة حتى عين موظفا في الكمارك. كان عزيز علي عاشقا لفن التمثيل و قد اسس مع حقي الشبلي الفرقة العربية للتمثيل وترأسها عندما سافر حقي الشبلي للدراسة في باريس في ثلاثينيات القرن العشرين ، واشتهربكونه فناناً شاملاً فهو يكتب كلمات منولوجاته ويلحنها وينشدها على الهواء (مباشرة) من ميكرفون اذاعة بغداد (اللاسلكية) منذ عام ١٩٣٦ عندما تأسست الاذاعة. كان عزيز علي رحمه الله فناناً لايمكن تكرار تجربته ولاقدرته الادائية الخاصة ولا تجاربه المميزة الانتقادية الساخرة موسيقى وكلمات.

سجن عزيز علي عام ١٩٤١ لمشاركته في احداث مايس وقضى في السجن اكثر من عام حتى اطلقت وزارة جميل المدفعي سراحه ليعود الى وظيفته متنقلا الى عدة اماكن قبل ان يستدعى الى وزارة الاعلام عام ١٩٦٨ ليؤسس مدرسة الاطفال الموسيقية بعد زيارات قام بها الى الاتحاد السوفيتي (السابق) وبلغاريا حيث اكتسبت الساحة الفنية اضافة جديدة من الشباب والشابات الذين يتقنون العزف على الالات الموسيقية المتعددة وتستطيع مجموعة منهم تقديم عروض الاوبريت والباليه باقتدار.

طلب عزيز علي في السبعينيات احالته الى التقاعد بعد طول معاناة مع مسؤولي الوزارة وقبع في داره حزينا ساخطا لسوء تقدير الدولة له، وحب الناس واقبالهم على منولوجاته الساخرة الجريئة التي تصلح لكل زمان ومكان، عدا ما ارتبط منها بحدث مباشر مثل (ياكونت) الخاص بمقتل الكونت برنادوت ومونولوج (لهنانة وبس) الخاص بثورة تموز ١٩٥٨.

ان فن المونولوج عند الفنان الكبير عزيز علي يشكل رسالة اجتماعية وسياسية كما يشكل صورة فنية صادقة مثقلة بالاداء الفني الموسيقي المذهل وقد استطاع. عبر الأعوام والعقود. الحفاظ على هيبة المنولوج الذي يقدمه لانه كان منولوجياً مرتبطاً بقضية شعبية لها تأثيرها المباشر على حياة الناس واحلامهم. من هنا كان عزيز علي ، ولهذا نحتفي به في هذه الصفحة الخاصة.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

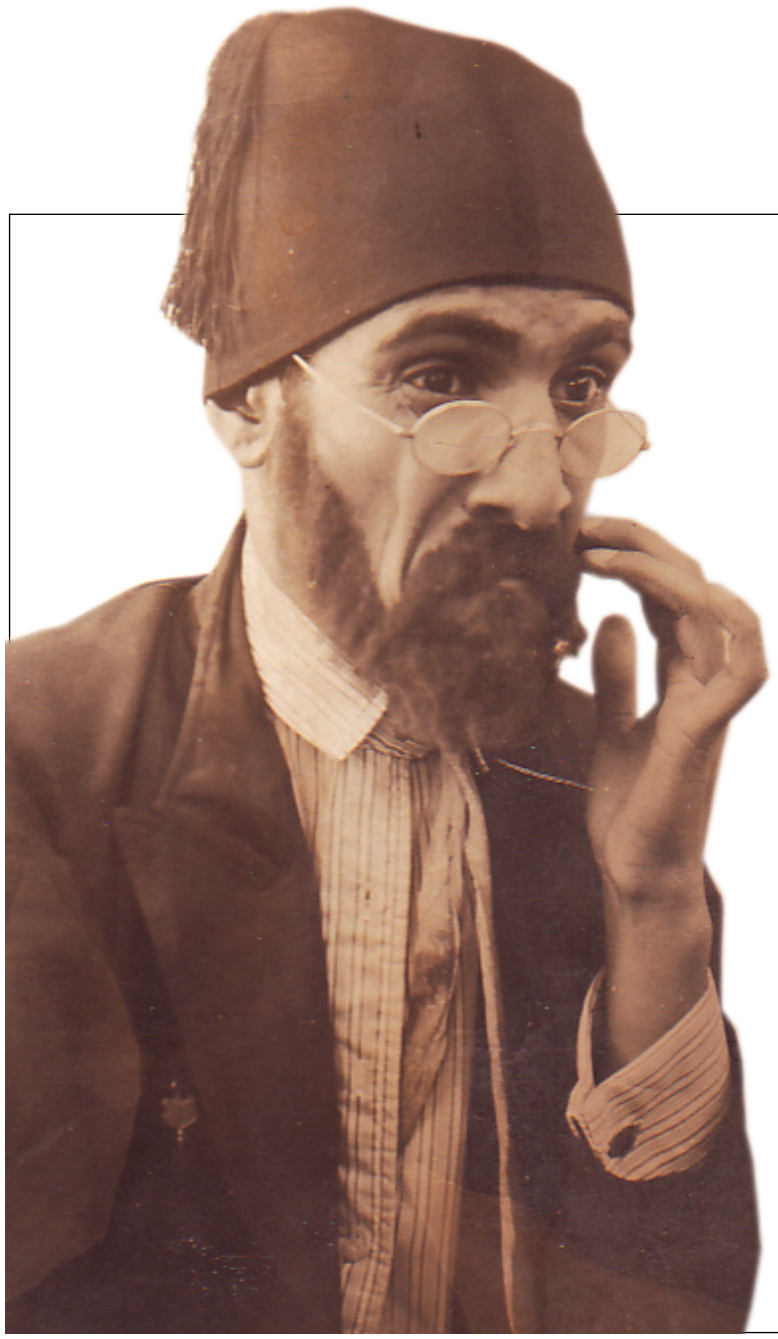

وانا في المدرسة الابتدائية كنت احفظ الكثير من اغاني محمد عبدالوهاب وعبدالغني السيد وزكية جورج واسمهان لكن عندما استمعت الى الفنان عزيز علي من الراديو والكرامفون في عامي ٣٧ و ٣٨ تعلقت باسلوبه الفريد في الاداء والحانه الرائعة وكلماته المنتقاة بعناية، ونقده الاجتماعي وكان الناس صغارا وكبارا ينتظرون الوقت المخصص له في الاذاعة ولصغر سني كنت اسمعه عن طريق المصادفة ولاتزال بعض اقواله ومونولوجاته ترن في اذني منذ الاعوام الاولى لمباشرته في غناء تلك الالحان الرائعة واقول الالحان لانني كنت ومازلت حتى يومنا هذا اتأثر باللحن قبل الكلمة وكان الصوت ونبراته وحسن ادائه هو الذي يصل الى القلوب ويؤثر في الناس رغم قلة عدد الالات الموسيقية المصاحبة..

عزيز علي

من دفتر الذكريات

عبدالوهاب الشيخلي

وبعد سنوات اختفى عزيز علي من الاذاعة وكنت اسأل هنا وهناك هل هو حي ام انه رحل عن هذه الدنيا وكانت المقاهي تدير اسطواناته الاجتماعية الرائعة مثل القبول وعال العال وشوباش وامان امان من هالزمان وعيش وشوف ودكتور وبستان وفي اقواله الاخيرة نحا منحى سياسيا وراح يعالج ما كنا نعانيه من مآس ادت الى ثورة مايس والحرب مع الانكليز في عام ١٩٤١ وفي هذه الاقوال نجده قد استخدم مقام الحجاز في (امان امان) والرست في (عيش وشوف) والنهاوند في (دكتور) ورغم بساطة التحويلات النغمية في تلك الاقوال الحكيمة الا انها تدل على براعة وقدرة وموهبة فذة تعتمد على السليقة في اختيار البدايات المناسبة والقفلات النغمية التي لاتخذ السمع.. والمزاوجة بين الانغام الصغيرة والكبيرة كما حدث في (دكتور) الذي اعتبره قمة في ميدان التلحين والانتقالة النغمية من النهاوند (الصغير) الى مقام العجم (الكبير) وقد سمعت الفنان الراحل (القبانجي) يثني على عزيز علي مؤكدا انها التفاتة لحنية بارعة.

لقاء في كربلاء

وبعد ان طال غياب عزيز علي واثناء تواجدي في محافظة كربلاء في عام ١٩٤٨ زرت احد محال بيع الاحذية واذا بي امام (عزيز علي) الذي ظهر انه صاحب المحل فلم اصدق ان هذا الذي يقف امامي هو نفسه الذي كان ينقلني الى عالم الالحان الساحرة رغم انه لايعترف بانه يهتم بالتلحين ولا ادري ان كان ذلك من باب التواضع وقد التقطنا صورة للذكرى لكني لم اشاهدها لانها كانت فاشلة. وتشاء المصادفة ان التقيه ثانية وفي نفس العام في اذاعة بغداد وتعارفنا مجددا ومنذ ذلك الوقت لم نفترق الا لماما، شاهدته يضع اجمل واروع اقواله منذ عام ١٩٤٨ وحتى آخر مونولوج وضعه في عام ١٩٥٨ ويقول فيه (كل حال يزول).

ولفرط اعجابي به كنت اقف مع كورس الاذاعة كي اردد معهم بعض اقواله الشهيرة ومنها برنادوت وصل عالنبي وبستان..

المعجبون يتجمهرون خارج الاذاعة

وكان عزيز علي يتاخر في الخروج من الاذاعة متحاشيا الحشد الهائل من الناس الذين يتجمهرون خارج الاذاعة وينتظرون مشاهدته ورغم تأخره فان عددا منهم لاييأس من الانتظار عند خروجه يندفعون نحوه لمصافحته وتقبيله لكنه يتخلص من الموقف بالاندفاع نحو السيارة التي تنتظره حيث يذهب الى بيته وعائلته وكان يقول لي دائما انني لاامك سوى بيتي واولادي ورغم ذلك فقد طفله البكر (عمر) ولم تدمع عيناه لانه كان يعتصر الالم والحزن في قلبه،، وبينما كان صوت البكاء يصدر عن النسوة في البيت امسك بيدي وقال فلنذهب الى السينما وعرفت انه متأثر جدا لوفاة ابنه لكنه اراد ان يبتعد قليلا عن اجواء النواح والبكاء.

تأسيس مدرسة موسيقى الاطفال

كنت ذات يوم اقوم بمهمة تدريس النشيد والموسيقى في احدى مدارس البلد واذا بي اشاهد الفنان عزيز علي ومعه استاذ اجنبي وبعد ان انتهى من اختيار بعض الطلبة طلب مني مراجعته في دائرة السينما والمسرح وهناك عرفت انه ينوي تأسيس اول مدرسة لتعليم الموسيقى للاطفال على اسس علمية متينة، وقد زار لهذا الغرض الاتحاد السوفييتي وتمت الاستعانة ببعض اساتذته ثم اختارني معاونا له في المدرسة وبدأنا العمل وحضر الاساتذة الروس اما الاساتذة من العراقيين فقد اجريت لهم اختبارات للتعرف على قدراتهم في تعليم الاطفال الالات الموسيقية وقد فشل بعضهم رغم انهم كانوا يعملون في الفرقة السمفونية واخذنا نعمل ليلا ونهارا من اجل الوصول الى النتائج المرجوة خلال مدة زمنية قياسية.. وقد تعرفت على عزيز علي بصورة افضل بحكم العمل معه عن قرب فوجدته عصبي المزاج وقد اتعب نفسه واتعبنا معه،، لكننا رغم كل شيء استطعنا ان نصل الى نتائج ملموسة وقدمنا حفلات غنائية وموسيقية ادهشت كل من حضرها وسجلنا للتليفزيون عددا لايستهان به من المقطوعات الموسيقية العربية والاوربية..

ولاشك ان تجربة الفنان عزيز علي في هذا الميدان هي الاولى من نوعها لانها استندت الى اسس علمية صادقة.. وكان اختبار الطلبة يتم وفق شروط مشددة (وهنا اتحدث عن مدرسة الموسيقى قبل دمجها مع مدرسة الباليه) وبعد ان ترك عزيز علي العمل بسب تقاعده واصلنا المسيرة في هذه المدرسة الى عام ١٩٧٤ وسلمنا الرسالة للاخرين بعد ست سنوات من العناء والجهد من اجل موسيقى رفيعة وفن يحمل في ثناياه

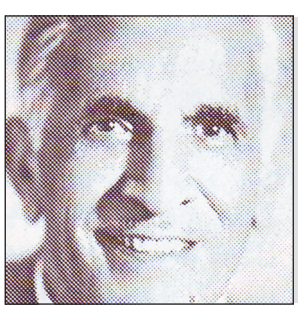

عزيز علي كان بارعاً في وضع اللحن واختيار الكلمة..
لفرط أعجابي به رددت أقواله مع كورس الأذاعة..
عزيز علي أسس أول مدرسة موسيقى للأطفال في القطر..

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

روح المستقبل..

محطات في الذاكرة

ومن الذكريات التي تحتفظ بها ذاكرة الناقد (الشيخلي) هذه المحطات..

×قدم عزيز علي ذات مساء حفلة في نادي الكمرك وكان (صباح بن نوري السعيد) احد الحاضرين فاستفزته اقوال عزيز علي فتوجه اليه وطلب منه ان يكتب مونولوجا عن المهربين لانه – اي صباح – اكبر مهرب في العراق فاعتذر عزيز وتخلص منه بلباقة خاصة بعد ان لحظ على صباح انه قد شرب كثيرا من الخمرة في تلك الليلة،، وعندما ذكرت هذه الحادثة امام عزيز علي قبل اشهر انكرها! ولم يعد يتذكرها رغم انها حدثت امام عدد من الحاضرين الذين وقفوا في وجه صباح في تلك الليلة..

×كنت اتمشى ذات مساء في شارع ابي نواس واذا بالناس تتراكض وتسرع نحو المقاهي المنتشرة على جانبي الشارع.. وسمعت بعضهم يتلفظ باسم عزيز علي. فسألت احدهم.. اين هو عزيز؟ فاجابني سوف تبدأ حفلته بعد قليل في الاذاعة وكان مشهدا غريبا ولم يتكرر مع اي فنان عراقي باستثناء عزيز علي!!

×في ٢٩ حزيران من عام ١٩٥٧ اجريت مع الفنان عزيز علي حوارا فنيا نشر على صفحتين في مجلة الاسبوع وكان مبتعدا او مبعدا عن الاذاعة وقد تحدث باسهاب وبصراحة عن اسباب ابتعاده مؤكدا ان الاذاعة في ذلك الحين تميل الى ان تقدم الاغاني الهابطة وجاء بامثلة من اغنيات زهور حسين مثل (صلوات الحلو فات) و(خالة شنهو الخبر دحجيلي) وقال يخطئ من يظن ان الاذاعة ليست سوى دار تثقيف وتهذيب حسب ويخطئ من يظن انها مجرد دار لهو وتسلية.

لانها في الحقيقة مدرسة قائمة بذاتها لبث افكار وآراء خاصة باسلوب خاص.. وهي سلاح ذو حدين اذا ما احسنت الجهة المختصة استخدامه لتقويض افكار معينة واقامة فكرة او رأي معين.. الاذاعة جهاز فعّال يعود بالنفع الجزيل على الوطن والامة.

×ومازلت ازوره في بيته بين الحين والاخر ولم اشعر انه تبدل عن عزيز علي الذي عرفته قبل ٤٤ عاما..

في عام ١٩٤٨ وقرب ستديو جانبي في اذاعة بغداد القديمة تناهى الى سمعي صوت عزيز علي وهو يغني مقاما عراقيا فعجبت لذلك وعندما فتحت باب الاستديو لاحظت ان الفنان الراحل عزيز علي كان يتمرن مع عازف كمان ضرير شعر بدخول انسان غريب فتوقف عن العزف.. الا ان عزيز علي قال له استمر انه صديق ثم اشار لي بالتقرب منهما.. فوقفت الى جانبهما وواصل عزيز الغناء من مقام الجمال وهو مقطع من مونولوج السفينة الشهير.

ياأهل الافكار
حالتنه عدم في عدم

كان العازف هو رئيس الفرقة الموسيقية وهو الذي يضع له المقدمات الموسيقية ويقوم بملء اللزمات الموسيقية المناسبة ويضعها ضمن القالب الايقاعي الذي هو غالبا على الوحدة المتوسطة او الكبيرة والجورجينة وقد لاحظت من خلال وجودي في بيت عزيز علي رحمه الله ولسنوات انه كان يلحن ويكتب النص في آن واحد وكان يعاني معاناة شديدة في انتقاء الفكرة والالفاظ المناسبة.

وقد شعرت بالخيبة عندما وجدته لايمتلك الة موسيقية كالعود او الكمان او البيانو وانه لايجيد العزف على اية آلة موسيقية، كان يعتمد على موهبته الفطرية في كتابة النص وتلحينه وكان الموسيقيون يحفظون الحانه مباشرة بعد اجراء بعض التحسينات عليها، ولكنه كان يخرج عن الميزان (الايقاع) في عدد من اقواله ومنها (امان امان من ها الزمان) المسجلة على اسطوانة والطاوة محروكة التي كان يغنيها امام الميكرفون في الاذاعة وعلى الهواء و(السفينة) ولم اشر الى تلك الاخطاء الفادحة احتراما له ولفنه الرائع الذي لم يصل للاسف الى الاقطار العربية بسبب اللهجة المحلية وضعف الاعلام العراقي في حينه.

كان الراحل عزيز علي يحترم فنه ويخشى الميكرفون حتى اخر عهده في اذاعة بغداد، وكان يبعد الميكرفون عن فمه عندما يلاحظ المسجل الصغير الذي كنت احمله معي عند زياراتي المتكررة لداره.

ويطلب مني بادب جم ان ابعد هذا الجهاز اللعين عن فمه لانه لن يجيد الكلام ولكنه سرعان ما يعاود الحديث بعد ان اتظاهر بابعاد المسجل واكتفي بالانصات الى احاديثه ونكاته الشائقة وذكرياته ونوادره، وبعضها خاص بما عاناه من شظف العيش في مستهل حياته وشبابه وقد شاهدنا معا اول مسجل صوت يعمل على الشريط المغناطيسي عند صديقه المهندس طالب رفعت في شارع الرشيد قرب الحيدرخانة، وهناك استمعنا الى اصواتنا اول مرة فدهشت واستغربت من النتيجة، كان موقفي يشبه موقف الشخص الذي نظر للمرآة اول مرة ووجد امامه وجها انسانيا فانتفض وراح يدقق النظر بين اونة واونة في المرآة حتى تأكد ان الوجه الذي يراه هو وجهه فعلا كما تأكدت انا بعد الاستماع لصوتي عدة مرات ان هذا هو صوتي فعلا.. وقال عزيز علي رحمه الله ان هذا الجهاز سوف يحدث انعطافا كبيرا في عالم الموسيقى والغناء.. كان ذلك عام ١٩٤٩.. وقبل ان يظهر الكاسيت والتلفزيون للوجود..

في مثل هذه الاجواء وخلال السنوات الطويلة التي امضيتها معه تعرفت على هذا الفنان الكبير، ووجدته احيانا يحفر وينحت في الصخر من اجل كلمة مناسبة ليضعها في قلادة قول جديد لتذاع من اذاعة بغداد التي كانت الوسيلة الاعلامية الوحيدة الى جانب الصحافة ومما ذكره لي انه بدأ ممثلا مع عدد من الممثلين المعروفين وعلى رأسهم حقي الشبلي.. وانه تأثر بالمونولوجست اللبناني المعروف عمر الزعني، هو يعتبر مونولوج (دكتور) قمة اعماله من حيث المعنى والهدف والتلحين والاداء وقد اتفق معه في هذا الرأي رائد المقام محمد القبانجي وشرحه لي ذات يوم عندما زرته في مكتبه.

كان المرحوم عزيز علي يعتز بالموسيقار محمد عبدالوهاب وكنا نردد بعض اغانيه وقصائده.. وهو يرى ان محمد عبدالوهاب يمتلك اجمل صوت بين المطربين العرب، وهو اقدرهم على فهم معنى النص وتحويله الى نغم مناسب.. وقد التقى به في القاهرة واسمعه اغنية (تاذيني) العراقية وسأله عبدالوهاب عن نغم الاغنية وكانت اجابة عزيز صحيحة.

ومن اهم الاحداث الفنية في حياة الفنان الراحل عزيز علي تاسيسه مدرسة الاطفال الموسيقية الاولى في كانون الاول عام ١٩٦٨ بعد رحلة استطلاع الى موسكو حيث يدرس الاطفال الموسيقى منذ نعومة اظفارهم على أساتذة اكفاء، وقد اختارني معاونا منذ البداية، وعندما اندمجت هذه المدرسة الخاصة بالموسيقى في عام ١٩٧٠ بقسم الباليه، واصبح اسمها مدرسة الموسيقى والباليه كان الراحل عزيز علي قد احال نفسه على التقاعد، وقد تعلمت من هذا الفنان الكبير المثابرة والعمل المتواصل اناء الليل واطراف النهار وحتى في ايام العطل الرسمية.

تعرض عزيز علي الى حالة من العوز الشديد اضطرته الى بيع نصف داره، ثم ازمع على بيع النصف الباقي لسد احتياجاته اليومية وشراء بيت بسيط في اطراف بغداد حسب رغبة ابنته الثالثة،(مي) بالرغم من انه لم يكن راغبا في ترك ذلك البيت الذي امضى فيه سنوات عمره الاخيرة وقبل اكثر من شهرين طلبني في الهاتف وعاتبني لعدم زيارته في بيته، خاصة انه يشعر بدنو اجله وكان الاديب الناقد عبدالحميد الرشودي يزوره في تلك الفترة ويحثني على زيارته مؤكدا انه يسأل عني وعندما هممت بزيارته كان قد فارق الحياة.

بدأ اعجابي بعزيز علي منذ عهد الطفولة والصبا وكنت اضعه الى جانب كبار الفنانين العرب، وعندما ابتعد عن الاذاعة اكثر من ثماني سنوات خيل لي انه شخصية وهمية، حتى التقيته وجها لوجه اواخر عام ١٩٤٨، ومنذ ذلك الحين ولحين رحيله في ٢٦ تشرين الاول من عام ١٩٩٥ لم انقطع عنه الا في الاشهر الاخيرة..

كانت حياته حافلة بالانجازات الفنية والحركة ولا اعتقد ان فنانا مثل عزيز علي يمكن ان يتكرر بسهولة.. كان فنانا كبيرا..

مجلة الف باء ١٩٩٢

كان المرحوم عزيز علي يعتز بالموسيقار محمد عبدالوهاب وكنا نردد بعض اغانيه وقصائده.. وهو يرى ان محمد عبدالوهاب يمتلك اجمل صوت بين المطربين العرب، وهو اقدرهم على فهم معنى النص وتحويله الى نغم مناسب..

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

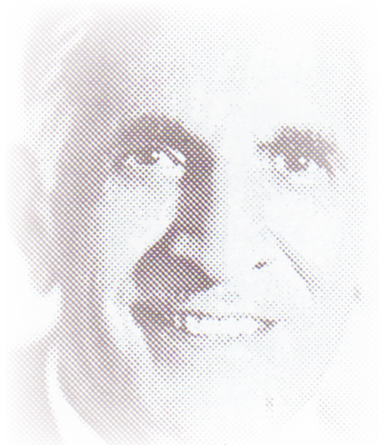

عزيز علي

آراء جريئة في الفن العراقي

ممارسات الاستعمار انعكست على أغانينا المثقلة بالبكاء..
المقام عندنا ليس المقام الذي عرفه العرب أيام العباسيين..

قحطان جاسم جواد

عزيز علي في رسم كاريكاتيري

بعد ان قاطع عزيز علي الاذاعة بعد ثورة تموز ١٩٥٨ عاد اليها عام ١٩٦٦.. ليقدم برنامجا جديدا بعنوان (في رحاب الفن) وقد خلق البرنامج ضجة كبيرة في الاوساط الفنية والثقافية لجرأة آرائه..
وقد تناول فيه عزيز علي الكثير من المواضيع المهمة فشرح كيف تسللت اغاني المواخير – او الملاهي- الى الغناء العراقي واثرت فيه.. وكيف ظهرت الابوذية والبستة في أماكنها المعروفة.. ثم بين ان المقام العراقي الذي نسمعه الان لم يكن ذلك المقام الذي عرفه العرب ايام العباسيين، بل دخلت اليه الالفاظ الاعجمية والتركية وصارت هي الاساس فيه.. كما نادى عزيز علي بتخليص المقام العراقي من الهمهمات والدمدمات التي يقولها مطرب المقام.. وما ان انتهى الجزء الاول من البرنامج حتى بدأت حملة شعواء ضد عزيز علي شارك فيها الفنانون والادباء لاسيما اولئك الذين شعروا بأن مصالحهم قد تتأثر بما قاله..

في الحلقة الاولى من البرنامج (في رحاب الفن) الذي اذيع في ٣ شباط ١٩٦٦ قال عزيز علي:

-لئن كان الغناء مرآة تعكس صور حياة الامم والشعوب، في ضوء النظم الاجتماعية والثقافية والسياسية التي نعيش في ظلها وتعكس امالها وامانيها وما تصبو اليه في الحياة.. فان الغناء الى جانب هذا وسيلة جبارة من وسائل تغليب الاراء والافكار المرغوب بها، من جهة وسلاح ماض من اسلحة تقويض الافكار والاراء غير المرغوب بها من جهة اخرى..

فاذا كان الامر كذلك، فليس لنا نحن العرب، الا ان نعلن آسفين ان اغانينا، هنا وهناك في البلاد العربية، اكثرها لايعبر عن مشاعرنا واحاسيسنا في هذه المرحلة ولايعكس ميولنا وهمومنا..

ويحدد عزيز اسباب جمود وتدهور الغناء عندنا قائلا:

-هناك عدة اسباب جعلت اغانينا تتخلف عن مسايرة ركب حضارتنا وتقدمنا ابرزها..

١-ان كلمات اكثر اغانينا ما كان ينظمها وينغمها غير حفنة من الاميين واشباه الاميين، فلا غرابة ان نرى افقها محدودا الى درجة ملحوظة.

٢-تحريم اختلاط الجنسين في مجتمعنا الى عهد قريب وعزل المرأة عن الرجل كان له الاثر الكبير في التحلل الذي شاع بتعابير بعض اغانينا بهذا الشكل المخجل المفضوح..

٣-ولاننسى ان الاستعمار حاول ان يحطم معنوياتنا ويشيع روح التخاذل في المجتمع وهي نتيجة انعكست في كلمات وانغام أغانينا المثقلة بالبكاء والنواح..

ثم يضيف عزيز علي في برنامجه قائلا:

ودعا كل الشعراء والادباء للمساهمة الفعالة في رفع مستوى اغانينا.. وان ينظروا الى الفن على انه عالم له رسالة سامية ونبيلة وليس شتيمة او سبة للانسان..

والواجب يدعونا – كما قال- الى غناء يعبر عن واقعنا وينقل لابنائنا وللعالم مشاعرنا واحاسيسنا وآمالنا.

في الحلقة الثانية من برنامج (في رحاب الفن) الذي اذيع في ٩ شباط ١٩٦٦ قال عزيز علي:

-شخصنا سابقا ان الاغاني كان يعدها وينتجها للاستهلاك المحلي نفر معين من

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

ليس غريبا ان نرى هذا الهبوط والانحلال في اغانينا.. وعزيز يفرق بين اللحن والتنغيم فالاخير هو عبارة عن مد الكمات وترديدها بالتواءات صوتية قد ترتفع او تنخفض.. وقد تقوى او تلين، بدون مراعاة لمعاني الكلمات او حتى لنطقها مثال (مثل ماح.. ما.. ماح) ثم يكمل المطرب (حر.. حرمت) الخ.. ويقصد بالقول (مثل ما حرمت نومي).. وهكذا يتشوه معنى الكلمات في الاغنية الواحدة لمسايرة النغم! في حين التلحين هو في واقعه ترنيم الكلام وترتيله بتوافق وانسجام ترتيلا يعبر عن معاني الكلمات بالنسبة لمواضعها مع مراعاة جانب التطريب والتجويد..

عزيز علي مع القبنجي

الاميين الذين كانوا يعشقون في المواخير والملاهي الرخيصة وغالبا ماكانت هذه الاغاني تعد لحساب من كن يسمين انفسهن بمغنيات وهن لسن كذلك..

ومن الطبيعي انهن بعرضهن الغناء والجسد عبر الرقص ليستمتع به الحاضرون.. كذلك كان الذين يلحنون و (ينغمون بعبارة اصح) هذه الاغاني الرخيصة يختارون الالحان التي تهز (الوسط) وليس الوجدان ولاهم لهم سوى الربح المادي على حساب القيمة الفنية للغناء نفسه..

لذلك ليس غريبا ان نرى هذا الهبوط والانحلال في اغانينا.. وعزيز يفرق بين اللحن والتنغيم فالاخير هو عبارة عن مد الكمات وترديدها بالتواءات صوتية قد ترتفع او تخفض.. وقد تقوى او تلين، بدون مراعاة لمعاني الكلمات او حتى لنطقها مثال (مثل ماح.. ما.. ماح) ثم يكمل المطرب (حر.. حرمت) الخ.. ويقصد بالقول (مثل ما حرمت نومي).. وهكذا يتشوه معنى الكلمات في الاغنية الواحدة لمسايرة النغم! في حين التلحين هو في واقعه ترنيم الكلام وترتيله بتوافق وانسجام ترتيلا يعبر عن معاني الكلمات بالنسبة لمواضعها مع مراعاة جانب التطريب والتجويد..

كما تحدث عزيز علي عن الابوذية وكيفية نشأتها في ريف العراق الجنوبي وحلل اسباب الحزن في هذا اللون من الغناء.. وقد انتشر هذا الغناء حتى في المدن وبات اهل المدينة يرددون بكائيات هذا الغناء حتى في الافراح والاعراس.. وهذا امر عجيب على حد تعبيره فاذا كان الفلاح يغني بحزن نتيجة لظروفه وطبيعة عمله.. فما بال مطرب المدينة الذي يعيش في حياة هانئة قياسا لابن الريف..

في الحلقة الثالثة من برنامج (في رحاب الفن) الذي اذيع ٢٤ شباط ١٩٦٦ قال عزيز علي:

-مسألة الآهات والونات والحسرات في اغانينا.. لاسيما تلك الاغاني التي تذاع في الاعياد وغيرها وقد طالب بايقافها بسبب عدم ملاءمتها للظروف المحيطة.. وقال ان الاعداء فقط هم الرابحون من عويل اغانينا وهم يتخذون منها سلاحا ضدنا ويسيئون الينا من خلال تشفيهم وشماتتهم بحالتنا الاجتماعية التي تعرضها اغانينا..

وعن المقام العراقي قال عزيز علي:

المقام يعني السلم الموسيقي للقطعة الغنائية او الموسيقية وحاليا- عندنا - يعني القطعة الغنائية التي تنساب انغامها التواءات صوتية معينة وباسلوب معين ثابت..

والسلم الموسيقي المتعارف عليه في العالم يتألف من سبع درجات او سبعة اصوات رئيسية يضاف اليها جواب الصوت الاول ويرمزون اليه بحروف او مصطلحات حرفية معلومة.. اما في الشرق العربي فهذه الحروف معروفة باسماء اعجمية، وكل واحد منها يمثل مقاما.. وهي (يهكاه.. عشيران.. عجم او عراق.. رست.. دوكاه.. سيكاه.. جاركاه.. نوى)..

يقابلها بالرموز العالمية..

صول.. لا.. سي.. دو.. ري.. مي.. فا.. صول..

المهم ان ما نسمعه من مقام اليوم هو ليس مقام العباسيين ومقامنا الحالي معظمه انحدر الينا من اصول تركية واعجمية..

والدليل ان ابرز من غنى المقام منذ ما يقارب (١٦٠) سنة هم اتراك وعجم منهم (ملا ولي) التركماني وابراهيم نجيب ابن شقيق عمر باشا التركي والي بغداد انذاك وشلتاغ وهو تركي ايضا.. والذي يدقق في المصطلحات المقامية يرى الجانب الاعجمي فيها مثل عجم عشيران او همايون او دشت وغيرها.. ثم جاء بعد ذلك القندرجي وابو حميد وابو النيص ورحمين نفطار وغيرهم وهؤلاء كانوا اميين.. لذلك كانوا اعداءا لاعلام اللغة العربية، فما وضعوا حسابا للوزن والتركيب واللهجة في اداء المقام وكانوا لايهتمون بالكلام مثلما نرى اهتمامهم بالانغام.. كما كانوا يجهلون العزف على آلة موسيقية.. وبالنظر الى ان بعض المقامات يجب ان تتصدرها مقدمة موسيقية تمهيدا للغناء راح بعضهم ممن لا تتوفر في حفلته آلة موسيقية الى ان يضطر الى الترديد بصوته هممهات ودمدمات يقلد بها انغام المقدمة الموسيقية! حتى يستطع ان يضبط الدخول بالنغم..

وعلى مر السنين صارت الهممهة والدمدمة جزء لايتجزأ من المقام وصارت من صلبه واطلقوا عليها اسم (تحرير)..

ولما كان ما تحدثت به يعود الى عهود ماضية فأرى- كما يقول عزيز علي- ان الوقت قد حان لتطوير هذا الامر ونبذ هذه الهمهمات وتخليص المقام من الالفاظ الاعجمية والتركية والابقاء على ماموجود فيه من الفاظ عربية..

في الحلقة الرابعة من برنامج (في رحاب الفن) الذي اذيع في ٧ آذار ١٩٦٦، اكد عزيز علي على ضرورة تحرير المقام من كل عيوبه لاسيما ما يخص الهممهات والدمدمات بعد ان توفرت الالة الموسيقية..

كما اشار عزيز الى دور القبانجي في تطوير المقام وتخليصه من الالفاظ الطارئة عليه من الخارج، لكن جهود القبانجي الفردية لاتثمر عن شيء اذا لم تساندها حركة قوية من الجميع للتعاون على اجتثاث هذه الامراض من المقام..

وبعد انتهاء طروحات عزيز علي التهب جو الغناء وثار جدل واسع بين الفنانين والمثقفين وحتى رجال السياسة ايضا.. فرفض المقاميون رفضا قاطعا اراء عزيز علي ولم يتوقفوا عند حالة الرفض.. بل كما قال عبدالحميد العلوجي (لقد نزلوا الى الساحة وجبة واحدة.. يمسك كل منهم الخنجر باليمنى وباليسرى قنينة من خمر هبهب)!

وسبب ذعر هؤلاء يكمن في:

١-مادام المقام سببا من اسباب الرزق لمحترفي غنائه، فهم مسؤولون بحكم مهنتهم عن حمايته، ولاسيما وقد دخل في روعهم ان عزيز علي يدعو الى ابعاد هذا اللون من الغناء عن الاذاعة والتلفزيون..

٢-اعتبر اساتذة المقام ومدرسوه اراء عزيز نسفا لامجادهم التي قامت بعد حياة طويلة فليس معقولا ان يلتزم هؤلاء جانب الصمت ازاء رأي قد يؤدي بمكاسبهم وقد ينقلهم من المنصة الى الرحلة!.

٣-ان للهواية في نفس الانسان صفة التقديس ولطالما اقدم بعض الهواة على ارتكاب حماقات في سبيل الحفاظ على هواياتهم ومما لاشك فيه ان للمقام في بغداد هواة الغوا هذا اللون من الغناء فاحبوه.. فلا غرابة ان ينبري هؤلاء هم الاخرون للتصدي لعزيز علي..

٤-من المعروف ان محترفي المقام باستثناء بعضهم.. اميون فلا عجب ان لاتسمح لهم مداركهم باستيعاب المفاهيم العلمية التي تضمنتها دعوة عزيز علي.

اما ابرز ردود الفعل التي قيلت ضد اراء عزيز علي فهي:

×القبانجي ايد آراء عزيز علي بخصوص ما ذهب اليه بشأن قراء المقام، ملا عبدالرحمن التركاني وجماعته لكنه من جانب اخر اكد ان المقام العراقي الحالي هو نفسه الذي كان يغنى في العصر العباسي، لكن القبانجي لم يستند بكلامه هذا الى مرجع تاريخي او علمي يؤكد صحة آرائه.. كما دافع عن جهل وامية قراء المقام قائلا: ان العراق حكمه البويهيون والسلاجقة فكيف يكون حال الادب ياترى؟ وكما قيل ليس على المطرب ان يعرب!.

×الاستاذ جعفر الخليلي ايد عزيز علي في دعوته لتطوير المقام العراقي..

×الاستاذ احمد حامد الصراف هاجم عزيز علي حول رأيه الخاص باعجمية المقامات، لكنه اتفق معه في خطوط اخرى..

الدكتور علي الوردي انصب وجه الاعتراض لديه على نقطة ثانوية هي قضية الحزن في الاغنية.. ثم عاود الوردي بعد اسبوع ليعلن انه يوافق على الكثير مما قاله عزيز علي لكنه لفت نظره الى ان تطوير الاغاني ليس خاضعا للارادة الفردية،، فالاغاني ظاهرة نفسية واجتماعية ربما صح القول انها تتأثر بقانون العرض والطلب.

×الاستاذ هاشم الرجب قال:

(اننا كعراقيين لاتراث فني لنا غير المقام.. وانا مع اعترافي بأن المقامات ليس كلها عراقية او عربية ومع اعترافي بأن بعض المقامات تركية او فارسية، الا اننا ادخلنا عليها تعديلات وتطويرات)..

ولم يقدم الرجب رأيه في تعريب الالفاظ الاعجمية في المقام وركز على جوانب ثانوية..

من جهة اخرى اكد الرجب على ان سبب جمود غنائنا هو وزارة الثقافة والارشاد (انذاك) التي لم تصدر بيانا تحدد فيه مدة لتطوير المقام العراقي..

رحاب الفن،، في صحف بغداد كما ساهمت الصحف البغدادية في الحملة الشعواء ضد آراء عزيز علي، فجريدة (المنار) شنت حملة عنيفة وبشكل غير متوقع وبصيغة انفعالية قادها نقيب الصحفيين انذاك الاستاذ (فيصل حسون) الذي نعت آراء عزيز علي بـ(حملة ظالمة) فرد عليه الاستاذ عبدالحميد العلوجي قائلا: انه رأي لايتناغم مع بهجة ذلك الصباح.. وهو رأي ظالم..

ثم اجرت الجريدة استفتاءا غريبا في ١٩٦٦/٣/١ شمل الكثير من قراء المواليد او قراء المقام وبعض رواد المقاهي اضافة الى بعض المغنين والمهتمين بالغناء مثل شعوبي وعفيفة اسكندر وعبدالوهاب بلال.. وكانت ردودهم انفعالية ضد آراء عزيز علي..

اما جريدة كل شيء فقد ثمنت اراء عزيز علي بقلم المرحوم الاستاذ عبدالمنعم الجادر.. كما أجرت استفتاءا ايد فيه معظم المستفتين آراء عزيز علي ومن المشاركين في الاستفتاء الاساتذة جعفر الخليلي والدكتور علي الوردي ومحمود العبطة واحمد الصراف والعلوجي وخالص عزمي وعبدالرزاق الهلالي والقبانجي وهاشم الرجب..

في حين استنكرت جريدة (البلد) آراء عزيز علي بكلمة للسيد (عبدالوهاب بلال) دعا فيها التلفزيون الى عدم السماح لعزيز بممارسة نشاطه الفني فيه..

ثم عادت الصحيفة بعد فترة لتنشر كلمة للاستاذ جلال الحنفي ارسلها من الصين اطرى فيها آراء عزيز علي..

كما كتب السيد عبدالوهاب بلال في جريدة الثورة العربية ايضا.. مقالا هاجم فيه عزيز علي هجوما عنيفا.. وكانت النتيجة ان انتهى برنامج (في رحاب الفن)..

القبانجي ايد آراء عزيز علي بخصوص ما ذهب اليه بشأن قراء المقام، ملا عبدالرحمن التركاني وجماعته لكنه من جانب اخر اكد ان المقام العراقي الحالي هو نفسه الذي كان يغنى في العصر العباسي، لكن القبانجي لم يستند بكلامه هذا الى مرجع تاريخي او علمي يؤكد صحة آرائه.. كما دافع عن جهل وامية قراء المقام قائلا: ان العراق حكمه البويهيون والسلاجقة فكيف يكون حال الادب ياترى؟ وكما قيل ليس على المطرب ان يعرب!.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

عزيــز علــي

سعاد الهرمزي:

عزيز علي.. مؤدي مونولوج من طراز رفيع

كان مقتدراً على طرح هموم الشعب بأسلوب فني متماسك

-منذ عرفته في عام ١٩٤٨ وهو فنان مختلف في فنه ومخالف في طريقة ادائه و(متخلف) في نظر الطغمة الحاكمة في ذلك الوقت طويل القامة. مليح الطلعة، ذو حاجبين كثين يتهدلان على عينين شديدتي الذكاء، تزين عنقه وردة سوداء لم يتخل عنها قط فهي علامته الفارقة وشارته المميزة مبتسم دائما ضاحك احيانا، ساخر من كل شيء حوله، ولم يستثن حتى نفسه من تلك السخرية وكأن لسانه يقول عليّ وعلى اعدائي يارب وكان عدوه -المفضل- الذي يشنع عليه ليل نهار هو الاستعمار البريطاني صاحب اللقب المعروف - ابو ناجي- بين اوساط العامة.

وعزيز علي ودود عندما تكون ودودا معه، ومشاكس عندما يحس انك لاتضمر له الخير، احبك ان احببته وكرهك ان كرهته، يقترب منك اذا اقتربت منه، ويبتعد عنك اذا ابتعدت عنه.

واناقة عزيز علي متطورة على قامته الممشوقة وشعره الاسود المصقول مرسل الى الخلف ولا يمكن ان يتهدل ولو مرة واحدة.. اما حركات يديه وتعبيرات وجهه وايماءات نظراته فهي تتوافق تماما مع لون المونولوج الذي كان يغنيه..

عزيز علي متفرد في انتزاع البسمة من الشفاه.

كان بعض الحاقدين على عزيز علي يقولون ان اقواله ليست من تأليفه وان البعض يؤلف له منولوجاته والبعض الاخر يلحنها له ولكن هؤلاء لم يقدما لنا من كان يضع له اداءه.. وسواء صحت هذه الاقوال ام لم تصح فقد كان عزيز علي متفردا في انتزاع البسمة من الشفاه والفرحة من القلب والبهجة من الفؤاد.

اختلف معه الكثيرون في طريقة تفكيره في فهم الفن واساليبه وان -بالقوة- على الاجهزة الفنية وفي مقدمتها الاذاعة وكان مخالفا للكثير من مطربي المقامات ذوي السمعة والشهرة.

اما شعاره الدائم فهو - الفن للحياة لا الفن للفن- كما كان يحمل افكارا جديدة في تطوير العمل الاذاعي بشكل عام في تطوير الموسيقى بشكل خاص.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

معان سياسية في اغنياته

كان عزيز علي يغني غير ما يغني الاخرون ويكتب اغانيه بنفسه بمعان تخرج عن اطار الاغنية العاطفية الى معان سياسية لاذعة لا تخفي على من يستمع اليها.

كان عزيز علي يؤدي اغانيه مباشرة على الهواء قبل ان تعرف اجهزة التسجيل الصوتية وكان المسؤولون في الاذاعة يتابعون اذاعتها وايديهم على قلوبهم خشية ان يخرج عزيز عن النص ويدخل فيها كلمات لم ترد فيها قد تطول احد المسؤولين في ذلك العهد وقد شهدت بحكم عملي في الاذاعة في ذلك الوقت ان مسؤولا قد وقع على مونولوج كان سيغنيه عزيز في احدى حفلاته الغنائية وهو يقول له (اوقع على هذا المونولوج على مسؤوليتي وانا غير مقتنع به ولكن اياك ياعزيز ان تضيف اليه شيئا آخر) ولم يكن عزيز علي بحاجة الى تغيير اي من مونولوجاته، فقد كانت جميعها حافلة بالغمز واللمز ذات المعنى ونقد الاوضاع التي كانت سائدة في ذلك العهد.

وهكذا فان هذا الفنان المخالف ظل مخالفا فترة طويلة قبل ان ينتهي دوره في المونولوج الانتقادي.

كان لعزيز علي كثير من الخصوم في ذلك العهد وكان لايهمه ان رضي فلان او لم يرض.. ودائما يرفع شعاره الذي لم يتنازل عنه في يوما ما –خالف تعرف– وان كان المعنى هنا يختلف، فهو يخالف لا ليعرف بل ليعرف الناس.

بمن تأثر عزيز علي؟

عزيز علي تأثر باثنين من كبار المنولوجست او (القوالين) احدهما السوري (سلامة الاغواني) والثاني (عمر الزعني) وكانا في الثلاثينيات من هذا القرن يثيران ضجة كبيرة في الاوساط السياسية والفنية في الاقطار العربية وعلى نهج هذين (القوالين) في الانتقاء الحر والسخرية اللاذعة نهج عزيز علي وطار صيته في بلده عاجزا عن تخطي الحدود الى الاقطار العربية الاخرى بسبب ان الفن العراقي كان اقليميا بحتا في الوقت الذي خرجت الاغنية العربية في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين الى آفاق ارحب بما لديها من وسائل الانتشار كالراديو والاسطوانة والسينما.

ان عزيز علي واحد من اعاظم المونولوجست في الوطن العربي، وهو الى جانب الاغواني والذعني رائد من رواد المونولوج الفكاهي الملتزم، ولافضل لهما عليه الا في جانب التحريض على ان ينحو المنحى الذي نحاه في حياته الفنية..

وعزيز علي بعد ذلك– تاريخ في سفر الفن العراقي وسيبقى هذا التاريخ محفوظا له في درج الذكريات والمذكرات.

ظاهرة لم تدرس بعد

الظاهرة التي يمثلها الفنان عزيز علي في الاغنية العراقية ظاهرة لم تدرس بعد، ولم يتح لها ان تمتلك ابعادها الحقيقية في المناحي النظرية والعملية والفنية والاجتماعية والنفسية لان عزيز علي لم يكن يحمل اسما له مواصفات فنية معينة، انما كان ومازال يشكل تيارا لم يتح للغناء العراقي قديمه وحديثه، ان يحتضن مثل هذا التيار، الذي كان ولاشك وليد عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وفلسفية.

واجد من الواجب تحديد معنى كلمة (مونولوج) في فن عزيز علي، فنظرة تاريخية بسيطة تؤكد ان فن المونولوج انتقل الى لبنان وسوريا عن طريق الاغنية الفرنسية المتعددة الاغراض والمتنوعة النوايا، مع اسم الفنان اللبناني (عمر الزعني) والفنان السوري (سلامة الاغواني) كظاهرتين اجتماعيتين انتقاديتين الى جانب خطهما السياسي الواضح القسمات، من خلال ما قدماه من منولوجات انتقادية ووطنية كانت الاثر المباشر في سجنهما وتشريدهما من قبل سلطات الانتداب الفرنسي، ذلك ان فن المونولوج في سوريا ولبنان وفلسطين والاردن لم يتخذ الطابع الرومانسي الذي شاع في مصر على يد اقطابها الكبار سيد درويش ومحمد القصبجي ومحمد عبدالوهاب وزكريا احمد ورياض السنباطي والاطرش، بل اتخذ طابعا وطنيا، اجتماعيا، انتقاديا، شأنه شأن المونولوج في العراق الذي نهض بافاقه الفنية الراسخة على يد الفنان عزيز علي الى جانب ذلك فان اعمال عزيز اقترنت بحركة واسعة من الاغاني الوطنية الحماسية، التي تحيي الوطن وتؤجد اتجاهات التعبير عنه في الولاء والحب والتضحية كما في اعمال اكرم رؤوف وحنا بطرس وسعيد شابو وغيرهم..

انطلق الفنان عزيز تحت رعاية الالتصاق بالتراث والتأليف على قوالبه الفنية، الى جانب التكلم بلغة العصر الذي عاش فيه، فكانت اغانيه رسائل الهام وتعبير عن الوجع الروحي مما آل اليه مصير الوطن، استطاع من خلالها بسليقته الفنية وعفويته البالغة ان يكرس ازجاله لخدمة قضايا وطنه الكبرى.

انتشرت اغاني عزيز علي انتشارا طغى على كل انتشار لاي لون غنائي، بل ان اسمه غدا كيانا فنيا قائما بذاته، وقد اسهم الكثير من العوامل في دفع عزيز علي الى هذه المكانة المتفردة منها العوامل السياسية والوضع السياسي الذي كان قائما انذاك في العراق ومنها تعاطفه مع اوسع شرائح المجتمع العراقي ومنها تأليفه الزجلية التي انتظمت فيها الكثير من ملامح الاتقان في السبك والصياغة والتعبير الى جانب ذلك صوته العميق الوقع في الاذن العراقية لما فيه من رجولة وقوة وتمكن عجيب في الاداء البعيد عن الميوعة العاطفية.

تحليل علمي للمونولوج

ونظرة علمية للمونولوج الذي ابتدعه عزيز علي نلحظ انه كان يتألف من المقطع الغنائي الاول وهو ما يعرف – بالمذهب– وهو يتكرر دائما بعد الانتهاء من كل مقطع من مقاطعه (اغصانه) التي تسمى ايضا بالادوار، وهي على هذا الاساس تتشكل من النحو الآتي.

اللازمة الموسيقية، المذهب، الدور الاول، المذهب، الدور الثاني، المذهب، الدور الثالث، المذهب، وهكذا، اما القفل فيكون بترديد المذهب من قبل المغني الانفرادي وحده.

انتشرت اغاني عزيز علي انتشارا طغى على كل انتشار لاي لون غنائي، بل ان اسمه غدا كيانا فنيا قائما بذاته، وقد اسهم الكثير من العوامل في دفع عزيز علي الى هذه المكانة المتفردة منها العوامل السياسية والوضع السياسي الذي كان قائما انذاك في العراق ومنها تعاطفه مع اوسع شرائح المجتمع العراقي ومنها تأليفه الزجلية التي انتظمت فيها الكثير من ملامح الاتقان في السبك والصياغة والتعبير الى جانب ذلك صوته العميق الوقع في الاذن العراقية لما فيه من رجولة وقوة وتمكن عجيب في الاداء البعيد عن الميوعة العاطفية وكان صوته ينطلق من القرار الى الجواب في اقتدار وعمق وتأثير في حدود الدرجات الصوتية التي تمتلكها حنجرته، ولم يكن في صوته اي وجع او ترنح عاطفي،، بل كان مقدرة ساطعة على طرح الهموم الاجتماعية والانسانية والسياسية باسلوب فني متماسك، قل نظيره في تاريخ الغناء العراقي ولم يحدث في تاريخ غنائنا ان تحلقت حول صوته الرجولي البعيد عن الالتواءات والزخرف الغنائي مثل هذه الجماهير الغفيرة من الاسماع تطرب له وتنصت اليه في اصغاء نادر المثال وفي استمتاع كامل وتعلق عميق، لذلك لم يكن عزيز علي صوتا واداءا فحسب، بل كان احساسا حيا بكل كلمة ينطقها وحرف يتفوه به، وكان لسانه الغنائي من الوضوح والابانة ما جعله يشكل معمارا فنيا وحده، هذا المعمار بقي اثرا واتجاها واسلوبا ومن حسنات الظاهرة التي شكلها عزيز علي انه بقي تعبيرا اصيلا عن اغنى فترة نضالية في حياة شعبنا.

مجلة الفنون ١٩٩٥

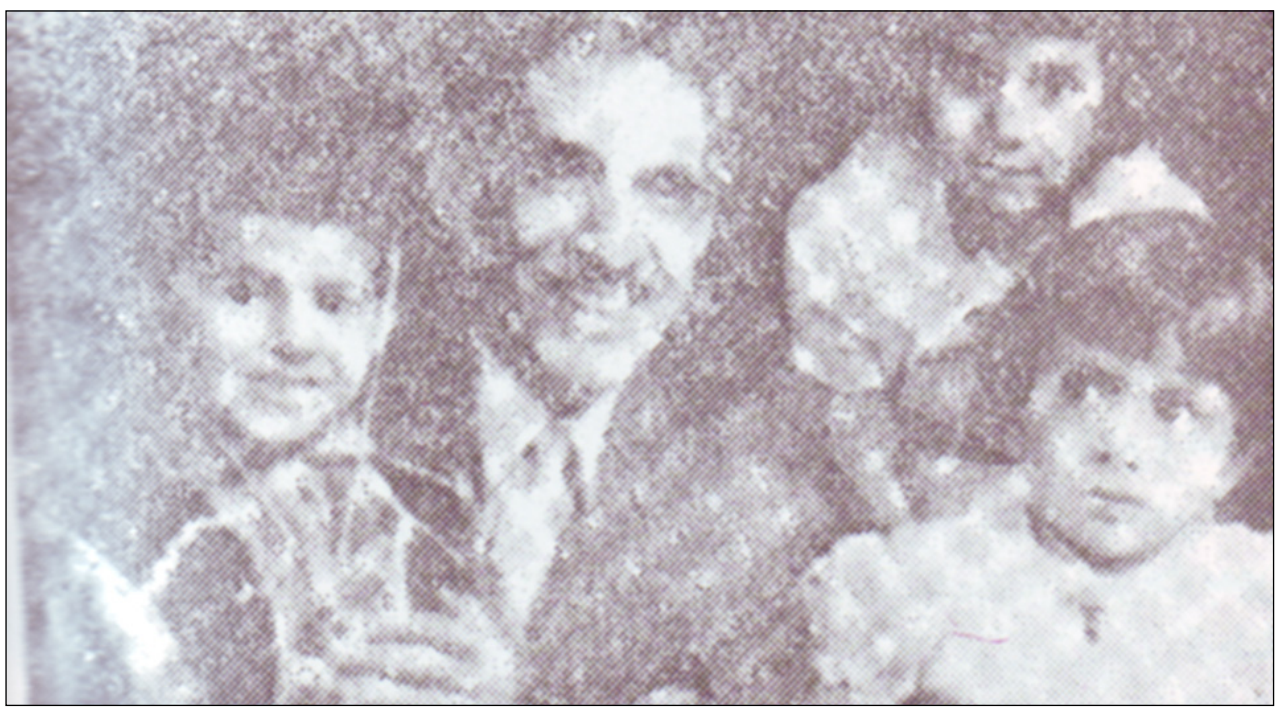

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

في حــوار اجري مع عزيز علي عــام ١٩٩٥ ادلى الفنان الكبير في اعترافات مهمة حول سيرته الفنية والحياتية وقد نشر الحوار في العام نفسه واثناء نشر الحوار توفي عزيز علي عن عمر تجاوز الثمانين عاماً ظل خلالها عزيز معبراً من خلال اغنياته ومنولوجاته عن امال واحلام العراقيين ..

عزيز علي في حوار عن الفن والحياة

ملحق (عراقيون) يعيد نشر هذا الحوار بمناسبة مرور ١٤ عاماً على رحيل فناننا الكبير . المونولوج مصطلح المهرجين والضاحكين اما في العراق فالامر يختلف تماما اذ كان البلد يتطلع الى لون غنائي جديد يصب فيه عواطفه ويحدد من خلاله مواقفه ازاء قضايا العصر الجديدة. وكان لابد من ظهور مونولوج جديد بمضامينه واهدافه كي يكون ردا على اغاني السقوط والانحلال ويبتعد عن المونولوج في مصر وسوريا مونولوج ينتقل بالغناء السطحي والهابط الى غناء ثوري مرتبط بالمجتمع والشعب.

مونولوج يوناني لا تيني مركب من كلمتين هما مونو تعني كلمة او خطاب ولوج وتعني (فرد او فردي) او خطاباً ويصبح المعنى الكلام الفردي او الخطاب الفردي وهذا يشمل كل كلام فردي او خطاب سواء كان ملحن او غير ملحن لكن هذه التسمية ابتعدت عن مضمونها كثيرا فصارت تطلق في الوطن العربي على لون غنائي شعبي يتداوله ويدافع عن حقوق المواطنين ويكشف عورات النظام الفاسد ويدفع الناس للثورة على النظام والفساد ويحرضهم ضد السلطة الرجعية والاستعمار البريطاني الجاثم على صدر الشعب العراقي وهذا هو بالضبط ما فعله عزيز علي عن طريق المو نولوج منذ اواسط الثلاثينيات حين انطلق عزيزعلي يردده معه جماهير شعبنا ساخرة معه من رجال السلطة ومن المستعمرين واذنابهم. وقد ساعده تحقيق ذلك النجاح المنقطع النظير الحنجرة الثمينة التي وهبته اياها الطبيعية وهي حنجرة تمتلئ بحرارة الايمان ووقار الرجولة وقوة التجربة وعزيز علي دخل الى هذا العالم متسلحا بدراسة اوزان الشعر العربي القديم دراسة موسيقة استطاع من خلالها ان يختار البحر المناسب منها لكل تجربة كما اجاد عزيز علي نظم الشعر وجميع ما قدمه من مونولوجات كانت من نظمه وبذلك يجمع بين نظم الشعر وحلاوة الصوت راس الجسر (جسر الشهداء حاليا) نقله والده الى الملا داود في محلة الفحامة لتعلم الموسيقى وهي حالة نادرة في الفترة التي ظهر فيها عزيز علي ..فمن هو عزيز علي؟ هو عزيز بن علي بن عبد العزيز بن حاتم بن هاني ولدفي ربيع الاول من عام ١٩١١ أي ان عمره انذاك ٨١ عاما وبعد ان ختم القران عندالملا وبقي عنده ثلاث سنوات تعلم على يديه القراءة والكتابة وختم القران ثم علمه شقيقه عمليات الحساب الاربع والتاريخ والجغرافية مما اهله للقبول في مدرسة الكرخ الابتدائية في الصف الرابع.واكمل الابتدائية والتحق بالثانوية في الاعدادية المركزية في الرصافة وهي المدرسة الثانوية الوحيدة انذاك وفي عام ١٩٢٦ قررت وزارة المعارف فصله من المدرسة لمعارضته فصل الاستاذ انيس النصولي مدرس التاريخ في الاعدادية المركزية مع مجموعة الاساتذة والطلبة بسبب ماورد في كتاباته عن الدولة الاموية في الشام. وبعد ان الغت الوزارة قرارها كانت الامتحانات على الابواب فلم يتمكن من اجتياز الامتحان وكان في الصف الثالث الأدبي وقتذاك فقرر الانتقال الى دار المعلمين وفي عام ١٩٢٨ فصل من الدار مع عدد من طلبة واساتذة دار المعلمين لمشاركته المميزة في التظاهرة الكبرى التي خرجت بها بغداد احتجاجا على مجيء المدعوسير الفريد موند الداعية الصهيوني الى العراق وكان عزيز يتولى الهتاف في المتظاهرين وقد ظهرت صورته في المقدمة وتحت لافتة كتب عليها فلتحيا الامة العربية كانت الصورة قد التقطتها شرطة التحقيقات الجنائية وكان معه في التظاهرة حسين جميل وفائق السامرائي وعبد القادر اسماعيل وهم المشرفون على تنظيم تلك التظاهرة وقد فصلوا ايضا في موسم ١٩٣٠-١٩٣١ شارك في الامتحانات الخارجية ونال شهادة الاعدادية وكان بوده ان يدخل كلية الحقوق لكن وفاة والده الذي ترك له رعاية امه واخته حالت دون ذلك وقبل حصوله على الاعدادية في ٢ نيسان ١٩٢٨ كان قد عمل موظفاً في ادارة كمرك ومكوس بغداد وبعد ثورة رشيد عالي الكيلاني فصل من خدمة الكمرك بعد ان اذاع في الاذاعة ما يؤيد الثورة وبعد شهر من فصله اتهم بانه حاز مروحة منضدية من اموال اليهود المنهوبة وحكم عليه بالسجن لمدة عامين قضى منها بضعة اشهر في سجن باب المعظم ثم نقل الى سجن الكاظمية ثم اعيد إلى سجن باب المعظم بعد اسابيع ومنه الى سجن العمارة مع مجموعة من المواطنين والقوميين..

وبعد ١٧ شهرا افرج عنه وطلب مدير الشرطة العام مقابلته وابلغه بانه متهم بالنازية وامره بان لايقيم في بغداد وان يعود الى الاذاعة ويقدم فيها بعض اشعاره حتى يثبت للحكومة والناس بانه ليس نازيا على حد تعبير مدير الشرطة فاختار عزيز علي ان يقيم في كربلاء التي عمل بها مأمور كمرك لمدة ثلاث سنوات.. مراحل مونولوجاته..

ولم يكن عزيز علي طوال مدة اذاعته المنولوجات مادحا او قادحا انما كان راويا للوقائع والاحداث التي يفرزها المجتمع باسلوب رقيق لاقى من المستمعين رضىً واستحساناً ويمكن تقسيم مراحل مونولوجاته او اقواله الملحنة كما يطيب له تسميتها الى ثلاث مراحل ابتدأت الاولى منذ تأسيس اذاعة بغداد التجريبية في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٣٦ حتى نشوب الحرب العالمية الثانية.. اما المرحلة الثانية فقد بدات من عام ١٩٣٩ حتى اواخر مايس ١٩٤١ في حين بدأت المرحلة الثالثة من اوائل عام ١٩٤٨ وانتهت في اذار عام ١٩٥٨.. المرحلة الاولى تميزت باستعراض بعض التقاليد والمعتقدات البالية التي كانت

عزيز علي يعيش مع ابنته وحيدا يتسلى بالكتابة لنفسه واحيانا يدفع ما يكتبه للطبع بعد الحاح صديقه الناشر مصدق الجنابي صاحب مطبعة دار التربية.. وقد لمست في عزيز علي العناد وعزة النفس التي لايساوم عليها يوما برغم العذابات والضغوط التي عاناها طوال ايام حياته كما كان صعبا في التعامل ولايقنع بسهولة.. وامضيت مع اكثر من شهر زرته فيه عدة مرات..

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

تمارسها النسوة الساذجات في حين اتسمت المرحلة الثانية بنضوج وعيه السياسي والوطني. اما المرحلة الثالثة فقد كانت مرحلة مواجهة مع السلطة الرجعية بعد ان ازداد الوعي وصار الموقف ينبع من نظرة عميقة للاوضاع القائمة كانت اقواله الملحنة او المونولوج تأتي حسب المناسبة او الحاجة التي تعيشها الجماهير وكان كل مونولوج يتحدث عن حالة خاصة وعامة يعالج حالة ما فللسقوط الذي تعانيه السلطة صور في مونولوج دكتور وصور الضياع والتيه في السفينة وصور الجهود والطاقات الخلاقة..

الانسان العربي التي يستغلها المستعمرون في البستان وجاء على المطامع الاستعمارية في الطاوة محروكة وتناول مأساة الحرية في احجي والراديو وصور الارهاب البوليسي بـ(اسكت) وتناول اسباب التمزق القومي في منة منة كما انتقد الاقطاع في صلي عالنبي..

عزيز علي فنان عراقي اجتمعت فيه ثلاث مواهب شعرية وصوتية وموسيقية سخرها جميعا لقضية الشعب وخدمته فعانى الجوع والحرمان وعاش السجن والاضطهاد والاعتقال ولكنه ظل رائدا لفن لم يعرفه العراقيون من قبل واستطاع من خلال لونه الغنائي ان يضيف شيئا جديدا لتراثنا الغنائي بعد ان لمس العراقيون في غنائه تعبيرا عن همومهم وتطلعاتهم في الحياة..

قلت له:

× متى بدأت تنشد اقوالك المميزة بنظمها شكلا وموضوعاً وترتيلا: وبمن تأثرت في نظمها بهذا الاسلوب الذي لم يكن معروفا او مالوفا في الغناء العراقي؟

– بدات انظم اقوالي وانشدها بالحاني من اذاعة بغداد بعد دراسة مستفيضة لاوزان الشعر وبحوره متأثرا بالشاعر المرحوم احمد شوقي وباسلوبه القصصي فخرجت من قراءة روايته الشعرية وحفظي روايته مجنون ليلى وكليوباترا عن ظهر قلب.

ان لكل موضوع بحرا من بحور الشعر وان لكل بحر من بحور الشعرلحنا يجب ان يتناغم مع معاني الموضوع ومراميه فبحور الشعر العربي للملحن المثقف هي المرشد والملقن للملحن فهي ترشده الى اللحن المناسب للقطعة الشعرية فحسب موضوعها المناسب.. فالقطعة الشعرية من البحر الطويل لايجوز ان تلحن بلحن راقص حركي والشعر من مجزوء الرجز لايجوز ان يضاف اليه لحن حزين كئيب.. والشعر من بحر الكامل يجب ان يلحن بلحن مناسب لمعنى الكلام. لذلك جاءت منظوماتي متناسبة مع الالحان وقد ساهمت في الاذاعة العراقية بالاناشيد منذ بدايتها الاولى التجريبية في اواخر عام ١٩٣٦ ويوم كانت تابعة لمديرية البريد والبرق العامة في مقرها باحدى غرف المديرية وبدأت بانشاد مقطوعات غنائية ليست من نظمي والحاني بلادي بلادي التي لحنها الموسيقار سيد درويش وكذلك نشيد الملائكة لايسجنون.. ويامن يحن اليك فؤادي.. وكان اجري عنها ٤ دنانير لخمس مرات انشدت فيها ففي الاولى صرفوا لي نصف دينار وعن الثانية والثالثة ٧٥٠ فلساً وعن الرابعة والخامسة دينارا واحدا لكل منهما اما اقوالي المذاعة منذ عام ١٩٣٧ لغاية ١٩٥٨ فهي من نظمي والحاني بدأ من مقال (عال.. عال..) الى مقال نو نو.

× من يتابع اقوالك يجد انك بدأت بنقد العادات السقيمة الشائعة انذاك ثم انتقلت الى معالجة القضايا المصيرية.. فهل تفسر لنا ذلك؟

– حين فصلت مع مجموعة من طلبة دار المعلمين بسبب نشاطي في التظاهرة التي نظمت احتجاجا على زيارة السير الفريد موند حيث كنت اهتف فلتسقط الصهيونية وانا لااعرف معنى حقيقتها ولكني كنت اسمع مايقال ومن ان اليهود يريدون ارض فلسطين العربية ليجعلوها ارضا لهم وكنت وقتها صغيرا وبعد الفصل اصبحت اقرأ الصحف واتعرف على حقيقة الصهيونية والاستعمار والذي جعلني اتحول لمعالجة قضايا الوطن والواقع هو جريمة المستعمرين بقتل الملك غازي ومن يومها شعرت بأن الواجب يقضي بالانصراف الى قضايا المصير وكانت الحكومة تحاسبني وتطاردني بعد قراءة كل مونولوج. بسبب ارتباطها بالاستعمار والرجعيين.

× اتهمت بالنازية في عام ١٩٤٠ وتمت محاكمتك بهذه التهمة. فما الحكاية؟.– في تموز ١٩٤٠ القت الشرطة القبض علي واودعتني موقف باب المعظم واناطوا بمتصرف بغداد حسام الدين جمعة مهمة محاكمتي وجاؤا بستة شهود حلفوا بكتاب الله انني نازي وقد تبرع العديد من المحامين للدفاع عني منهم الاساتذة عبد العزيز جميل وذيبان الغبان وقاسم العلوي ومهدي مقلد يرحمهم الله وبالرغم من قناعة المتصرف ببراءتي من التهمة إلا انه اضطر الى سجني وقال لي.. ان وزير الداخلية المرحوم انذاك رشيد عالي الكيلاني.. امر بتبديل الحكم اذا دفعت غرامة ٧٥ ديناراً فطلبت ان يطلق سراحي لايام لاتدبر المبلغ لم يوافق.. وعندما سمع السيد طبارة صاحب شركة سيكاير اتصل باحد اصدقائه بالكمرك وطلب منه ان ياتي الي كي يبشرني بانه سيدفع المبلغ عني لانه من المعجبين باقوالي فاطلقوا سراحي في اوائل اب ١٩٤٣ بشرط عدم الاقامة في بغداد والاقامة في كربلاء التي كنت قد عملت بها سابقا لمدة ثلاث سنوات في الكمرك وافتتحت هناك محلا لبيع الاحذية كي استطيع ان البي حاجات معيشة عائلتي.× وفي عام ١٩٦٨ اسست مدرسة موسيقى للاطفال التي تحمل الان اسم مدرسة الموسيقى والباليه فهل نتعرف على تأصيل ذلك؟.– في منتصف نيسان من عام ١٩٦٨ اوفدت الى الاتحاد السوفيتي (سابقا) لمدة تسعة اسابيع بموجب الاتفاقية الثقافية والفنية المعقودة بين البلدين. وذهبت بوصفي مؤلفا موسيقيا وملحنا واذاعياً معروفا وكان الغرض من الزيارة الوقوف على نهضة الموسيقى والفنون الشعبية في الاتحاد السوفيتي وعندما طلبت منهم المشاهدة للتلفزيون والاذاعة كانت مفاجأة لهم اذ كانوا يتصورون ان وفدنا لايهمهم الا السهر واللهو والتسلية ولم يحاولوا تلبية رغبتي تلك ثم لمست انهم يعيرون اهمية كبيرة لتعليم الموسيقى للاطفال عندهم الى اكثر من الغي مدرسة وهذا الامر جعلني افكر بتأسيس مدرسة موسيقى للاطفال في العراق وعند عودتي تقدمت بطلب الى وزير الثقافة والاعلام انذاك وشرحت له الامر والمدرسة تأسست رسميا في كانون الاول من عام ١٩٦٨ وتخرجت اول دورة فيها عام ١٩٦٩..

– وبعد التأسيس استوردنا الالات الموسيقية من ايطاليا وبعناها للاطفال باسعار الكلفة وبالاقساط الشهرية وكان من المدرسين العراقيين انذاك سعد محمود حكمت وعبد الوهاب الشيخلي وفؤاد الماشطة..

– وعندما جاء كولبنكيان الى بغداد عرضنا عليه المساهمة في بناء المدرسة فوافق وارسل لنا ١٨ الف دينار وهي تكاليف البناية الحالية وفي عام ١٩٧٠ بدأت مضايقات مسؤولة المكتبة لي وقد شكوتها امام الوزير غير مرة لكن الشكوى لن تنفع وحين طالبت هذه السيدة بدمج مدرسة الموسيقى مع مدرسة الباليه شعرت انها تهدف الى اجهاض هذا المنجز الكبير فقدمت طلبا لاحالتي على التقاعد لانني اشعر بان الباليه ليس من ثوبنا ولا يليق بنا ومن يوم دمجها اعتبرتها قد انتهت...

المعروف عن عزيز علي انه عنيد برغم الشيخوخة ولكنه مازال عنيدا لايتراجع عما امن به وقال لي باصرار لو عدت الى سنوات عمري الاولى لما اخترت غير هذا الطريق الذي وجدت نفسي فيه ولا احيد عنه برغم عذاباته ومعاناته فيه كنت اشعر بانني اقرب للمصلح الاجتماعي اكثر من قربي للفنان ولم اندم على اختيار هذا الطريق الصعب..

× وكيف كنت تتعامل مع المجتمعات من يعجب بفنك ويدعوك الى حفلاته..؟

– انا لاذهب الى مجتمعات الكبر ولم اسر في هذا الدرب ابدا بالرغم من الدعوات الكثيرة والملحة في هذا المجال لان عقيدتي الوطنية كانت تتعارض مع مصالحهم اضافة الى ذلك انني لم اجعل فني وسيلة للرزق والكسب والاثراء ولو فعلت ذلك لاصبحت مليونيرا...

مع نوري السعيد..

ماذا دار بينك وبين نوري السعيد في استوديو الاذاعة عام ١٩٥٦؟.

في يوم من اربعاءات عام ١٩٥٦ كنت استعد الى الدخول للاستوديو لانشاد مقال السفينة وصلي عالنبي وفي اثناء الانشاد فوجئت بوجود نوري السعيد باشا وراء زجاج مراقبة الاستوديو ينظر الي مع بعض موظفي الاذاعة وقد خيل الي انه سيكرمني فانسجمت مع المقال.. وبعد فترة ترك الغرفة وعاد بعد قليل وهو يحدق بي ويطيل النظر نحوي وبعد لحظات دخل مهندس الاذاعة ناجي صالح واسر في اذني.. هل تحمل معك مجموعة اشعارك لان الباشا يريد ان يراها وسلمته اياها كان الباشا قد سأله.. لك هذا شنو يحجي من كلبه فاجابه باشا لا هو ينظم الاشياء ويحفظها على الغيب..

فدس المجموعة في جيبه فقال بسيطة وغادر المكان فخفت في حينها ولم انم تلك الليلة.. وفي اليوم التالي ذهبت الى كمرك بغداد حيث كنت اعمل مخمنا فرن جرس الهاتف وحدثني الاستاذ خليل ابراهيم مدير الدعاية العام وقال الباشا يريدك وانه كان يظن انك شيوعي فذهبنا معاً الى مجلس الوزراء في القشلة واستقبلنا الباشا قائلا: تشربون فاعتذرنا كلنا عن شيء ثم قال.. انت يا اخي الله ناطيك موهبة اتصفط الكلام فليش اتفزز الناس واتبجيهم.. كول البلد بخير وبيهه رجال مخلصين يكدرون يقضون على العيوب والافات ليش تلزم الجوانب السلبية وما تذكر الايجابية وثم توقف عند كلمة في مقال حبسونة اقول فيها مجلسكم مجلس اشرار وقال بالله هذا شلون حجي فاجبته باني اقصد مجلس الامن وليس مجلس الامة فقال لي ليش اني غشيم لك هذا الحجي ميعبر علي فسكت واعاد الي المجموعة وغادرت دون ان يعاقبني الباشا.. لكن خليل ابراهيم الذي بقي في غرفته بعد خروجي وبعد ذلك قال خليل ابراهيم ان الباشا تاكد أنت موشيوعي وصار معجب بيك هواية..

وبعد ثورة ١٩٥٨ حدثني دكتور مصطفى جواد قائلا كنت عند نوري باشا في احد الايام ومصادفة ادار مؤشر الاذاعة فسمع مقالا لك الفن وتابعه بكامله لكنه عندما انتهيت شوف ابن ال.. دايشتمني.. ضحكت كما ضحك دكتور مصطفى جواد والاستاذ عبد الحميد العلوجي الذي كان يشغل معي نفس الغرفة في وزارة الارشاد..

ماحكاية صاحب الهاتف ٨٥٣٨٥؟

ماهي حكاية استدعائك من الاذاعة بعد ثورة ١٩٥٨ عبر اذاعة رقم هاتفك ٨٥٣٨٥؟.

لم تكن الثورة مفاجأة للكثيرين بل للمثقفين وانا احدهم وفي صباح يوم الثورة وانا في البيت سمعت مذيع الاذاعة يعلن عن صاحب الرقم الحضور الى الاذاعة فورا وكان هذا هو رقم هاتفي وحين وصلت رايت عبد السلام عارف واقفا امام الباب الداخلي فبادرني بالقول: وين يا عزيز علي اشوفك لكني كنت ارتجف ساعتها لانني لااعرف ماذا يريدون مني لاسيما ان الوضع لم يستتب كليا واصوات الرصاص تلعلع في كل مكان فوعدتهم خيرا وعدت الى البيت كي اكتب مقالي ورجعت عصر نفس اليوم الى الاذاعة وانشدت مقال نو وقلت..

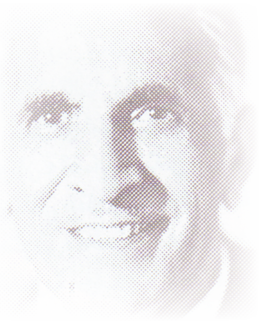

المعروف عن عزيز علي انه عنيد برغم الشيخوخة ولكنه مازال عنيدا لايتراجع عما امن به وقال لي باصرار لو عدت الى سنوات عمري الاولى لما اخترت غير هذا الطريق الذي وجدت نفسي فيه ولا احيد عنه برغم عذاباته ومعاناته فيه كنت اشعر بانني اقرب للمصلح الاجتماعي اكثر من قربي للفنان ولم اندم على اختيار هذا الطريق الصعب..

عاهدناكم وماخلفنه العهد وياكم..

داريناكم بالمعروف

صادقناكم وكل هذا العالم عاداكم..

وقد تناول فيه عزيز علي الكثير من المواضيع المهمة فشرح كيف تسللت اغاني المواخير او الملاهي الى الغناء العراقي واثرت فيه وكيف ظهرت الابوذية والبستة في اماكنها المعروفة ثم بين ان المقام العراقي الذي نسمعه الان لم يكن ذلك المقام الذي عرفه العرب ايام العباسيين بل دخلت اليه الالفاظ الاعجمية والتركية وصارت هي الاساس فيه. كما نادى عزيز علي بتخليص المقام العراقي من الهمهمات والدمدمات التي يقولها مطرب المقام وما ان انتهى الجزء الاول من البرنامج حتى بدأت حملة شعواء ضد عزيز علي شارك فيها الفنانون والادباء لاسيما اولئك الذين شعروا بأن مصالحهم قد تتأثر بما قاله بالحلقة الاولى من برنامج في رحاب الفن الذي اذيع في الثالث من شباط ١٩٦٦.. وقال عزيز علي كان الغناء مراة تعكس حياة الامم والشعوب في ضوء النظم الاجتماعية والسياسية التي نعيش في ظلها وتعكس امالها وامانيها وما تصبو اليه في الحياة فان الغناء الى جانب هذا وسيلة جبارة من وسائل تغليب الاراء والافكار المرغوب بها من جهة وسلاح ماض من اسلحة تقويض الأفكار والاراء غير المرغوب بها من جهة اخرى. فاذا كان الامر كذلك فليس لنا نحن العرب الا ان نعلن اسفين ان اغانينا هنا وهناك في البلاد العربية اغلبها لايعبر عن احاسيسنا في هذه المرحلة ولايعكس ميولنا وهمومنا ويجد عزيز اسباب جمود وتدهور الغناء عندنا قائلا: هناك عدة اسباب جعلت اغانينا تختلف عن مسايرة طرق حضاراتنا وتقدمنا ابرزها:

ان كلمات اكثر اغانينا ما كان ينظمها وينغمها غير حفنة من الاميين واشباه الاميين.فلاغرابة ان نرى آفاقها المحدودة الى درجة محدودة.

تحريم اختلاط الجنسين في مجتمعنا الى عهد قريب وعزل المراة عن الرجل كان له الاثر الكبير الذي شاع بتعابير بعض اغانينا بهذا الشكل المفضوح.

لاننسى ان الاستعمارحاول ان يحطم معنوياتنا ويشيع روح التخاذل في المجتمع وهي نتيجة انعكست في كلمات وانغام اغانينا المثقلة بالبكاء والنواح..

ويضيف: في برنامجه ودعنا كل الشعراء والكتاب للمساهمة في رفع مستوى اغانينا وان ينظروا الى الفن على انه عالم له رسالة سامية ونبيلة وليس الشتيمة والسب.. والواجب يدعوننا كما قال الى غناء يعبر عن واقعنا وينقل لأبنائنا وللعالم مشاعرنا واحاسيسنا.

وفي الحلقة الثانية من برنامج في رحاب الفن الذي أذيع في السادس من شباط ١٩٦٦ قال عزيز علي.. شخصنا سابقا ان الاغاني كان يعدها وينتجها للاستهلاك المحلي نفر معين من الاميين الذين كانوا يعششون في المواخير والملاهي الرخيصة وغالبا ما كانت هذه الاغاني تعد لحساب من كن يسمين انفسهن بمغنيات وهن لسن بذلك ومن الطبيعي بعرضهن الغناء والجسد عبر الرقص ليستمتع به الحاضرون

نشر الحوار في صحيفة الجمهورية تشرين الثاني ١٩٩٥

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

عزيز علي . .تحليق للأعلى

عادل الهاشمي - ناقد موسيقي

عزيز علي اسم تثبت في حاجات ثقافتنا اليومية خاصة بالنسبة للذين عاشوا ايامه في الكدح الغنائي الذي كان يقدمه مساء كل اربعاء من كل اسبوع عبر الاذاعة العراقية التي تأسست عام ١٩٣٦ ، كانت الاهداف التي قامت عليها اغانيه تقوم على المواجهة المباشرة مع المشكلات، فهو كمن يقول (متاعبنا تحيا فينا) الاغنية كانت عنده تفجر رعشة ! لم تكن اغانيه أو مونولوجاته (الاصح تعبيراً) معجونة بالعطور وبألوان البراري ونعومة ملمس النساء، بل كانت نداءً يخط على صفحة الزمن ليوقظ الناس من غفوتهم ليقول لهم، انا معكم في محنكم وفي جوعكم وفي ألمكم وفي عذابكم لكن الخلاص من كل ذلك لايجعلنا نستكين ونجلس القرفصاء ، بل نتحرك الى افق العمل اليومي من اجل ان يكون للعامل بدلة وللفلاح حذاء يحتذيه، وللمرأة صوت تعبر من خلاله عن عالمها وللانسان حقه في التعليم ، وللعاجز حقه من رعاية الدولة له، وفي صميم الخلق الغنائي ، كانت الفترة التي ملأها عزيز علي بمثابة "اشراقات" وهي فترة بدأت في عام ١٩٣٧ وانتهت في عام ١٩٥٨ وقد توزعت على مراحل ثلاث ، المرحلة الاولى ، ابتدأت بعد تأسيس الاذاعة العراقية في عام ١٩٣٦.في الاشهر الاخيرة. حتى نشوب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩، المرحلة الثانية، وقعت مابين عام ١٩٣٩ وحتى الأشهر الاولى من عام ١٩٤١ (مايس) ثورة رشيد عالي الكيلاني.

المرحلة الثالثة، انطلقت ، من الأشهر الاولى من عام ١٩٤٨ وأنتهت في الشهر الثالث من عام ١٩٥٨.

الصدى الصوتي للعصر

أتسمت مونولوجات عزيز علي بالوضوح واستعمال الاشارات وترصين البيت الغنائي بالامثال البغدادية ، وكانت هذه المونولوجات بأجمعها هي الصدى الصوتي لعصره ، لأنه كان يضع تحديداً لبعض المشكلات تلك التي لاتحديد لها ، لم تكن مونولوجاته مزجاة بالعطور والاصوات والالوان، كانت هتافاً صميمياً من رجل لايجيد الغناء المملوء بالآهات، بل كانت مونولوجاته لغة الروح للروح غنية بالمفاجآت ، بعيدة عن كل تأنق فارغ وكل هوس جارف، أنها لغة فيها صدمة للغافين لتأخذهم بموسيقاها اللفظية وصورها وطرافتها وتركيباتها، والمونولوج عند عزيز علي هو تكثيف الدهشة ، والتبسيط والابتعاد قدر الامكان عن كل تركيب لفظي منمق ومتصنع ، وعزيز علي قد غنم من هذه الملامح التي اتسمت بها مونولوجاته ، فكان المونولوج العائد له هو التعبير باللغة البغدادية المحمولة الى نمطها الاساسي، وربما للصدق الذي حوته مونولوجاته ، يكون عزيز علي هو الرعشة الروحية لحياتنا الفنية في الوطنية العراقية والقومية العربية، كانت مونولوجاته غير غافلة عن مآسي حياة الناس كانت مونولوجاته عن الفساد، هي النار التي تحرق، ومونولوجاته عن الوطن هي الشعلة التي تضيء، من هنا تحصن عزيز علي من الجمل الجوفاء في المونولوج الذي يغنيه ، بل كان المونولوج في حد ذاته صورة كبيرة تتفتح حول فكرة اجتماعية او سياسية او تربوية او اقتصادية ، وتبعث بقوة طيبها في كل سطور المنولوج، فهل كانت مونولوجاته تتوشح في التعبير برمزية هي بمثابة عقيدة جمالية؟

القوّال

يقول (موریاس) في جريدة الفيغارو الفرنسية في ايلول عام ١٨٨٦ (كان في الروحية نفسها والتعابير ذاتها تقريباً. الفكرة في ذاتها، الجميل سمو الروح ، وإن على الفكرة ان ترتدي شكلاً محسوساً يكون ملائماً لها في جميع ابعادها) كان عزيز علي يردد دائماً " انا قوال ، اقر بذلك لأنها الحقيقة التي تهتز في نفسي " فهو فنان الالهام والتحلية والحقيقة، والصدق ، أنفعل بحزنه الداخلي، وهو رجل عصامي رقيق الحال لايملك داراً ولا داوراً، يعيش على راتبه المحدود جداً مع عائلة قوامها ثمانية أنفار، لم يتوقف عند ميوعة مغني عصره ولابهرته شهرتهم ، واذا كان الغناء في عصره أختلاجات وآهات وتنهدات ، فأنه في صنيعه (فن المونولوج) أعاد إليه نبرته الخطابية المجلجلة منفتحاً على العالم المحيط به، مطوقاً نبرته الالقائية بشذى المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والانسانية ، كان زاهداً يتوضأ بنور الوطن وكان فناناً أميراً لكون آخر ولصراحته وحده ايمانه بقضيته ، تبدو الرمزية في فنه محملة بأكثر مما تطيق ! فلم يكن يعبأ كثيراً بتسجيل اللحظة الهاربة من حياته، ولا الانسياق الممدوح في دوامة الاحاسيس ولا كان يضفي منطقا مرئيا على العناصر الخيالية، فليس لديه من تشوه الروح والخدر والغموض ، وعليه يمكن التساؤل فيما اذا كان عزيز علي هو تطبيق خاص لطاقات الالقاء والتنغيم والاداء واللفظ، وفي حين نجد ان العمل الغنائي لديه يفرض على كل لحظة موصوفة من الزمن موقفاً! وواقع الحال انه لم يتنبه الا الى العزم والحزم في فنه، فهو من أقتضته الضرورة ليست الضرورة الفردية، بل الضرورة الانسانية لمجتمع بأسره ، لذلك قدم مونولوجاته نظيفة في مراميها الشريفة وليست مزروعة بالصدوع والشقوق ، غير ان مونولوجاته تعكس ذلك القلق الذي هو النتاج الجدي للابداع، صحيح ان معظم المواقف التي سطرها في مونولوجاته يمليها ويدفعها ويسببها ردود الافعال التي تدرب في الفنان شكيمته القوية في مواجهة كل اعصار ذاك الذي لايضيع منه الحافز في العلاقة بين التلقائية الفردية والمعيار المشترك! أن اخلاقيته تقدم العديد من الاوامر، وهي الوقوف مع الحق والمبدأ والصدق، الصدق الذي هو نابض السكلجية الفنية، حيث عاود المونولوج عنده الانبثاق من برعم الانتماء الى اوسع طبقة من البشر وهم الشعب!

وبقيت الرحلة امامه لتأخذه الى عوالم المواجهة، ان العمل يقوم على المضي الى امام حتى النهاية، وفن المونولوج هو الفن الذي يطرح الاسئلة حتى النهاية ويهدف الى اظهار المسابقة تلك التي تفصل المونولوج الانتقادي الذي بشر به عزيز علي ودفعه الى الحدود القصوى من رحلته الفنية لايتعلق بسلسلة من الافعال والعواطف، بل بماهيته عبر تعرجات الحياة المحيية ، وعليه فأن صدق الفن الذي تركه لنا عزيز، هو الذي جعلنا نستعيد من خلاله حياتنا، لأنه فن المواجهة الباسلة مع المصير، لقد أحببت الاستماع لمونولوجاته ، لأنها حوت روح الحمية عن الناس وحوت ذلك الحدب الصاحي على مصالحهم، وكان ساحة للتجربة الفنية يختلط فيها الوضوح بالحذر! لقد بقي منذ ولادته وحتى عام ١٩٣٧ صامتاً يفكر ويمعن النظر فيما

أتسمت مونولوجات عزيز علي بالوضوح واستعمال الاشارات وترصين البيت الغنائي بالامثال البغدادية ، وكانت هذه المونولوجات بأجمعها هي الصدى الصوتي لعصره ، لأنه كان يضع تحديداً لبعض المشكلات تلك التي لاتحديد لها.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1641)
السنة السابعة
الخميس (29)
تشرين الاول 2009

كان قرار عزيز علي بوجوب الدخول الى واحة الفن المعبر، قد دلّ على ان فكراً أخلاقياً ونزعة انتقادية جريئة للواقع العراقي قد دخل كل ذلك الى الحياة الواقعية. ان عزيز علي طرح نفسه منذ البداية، على انه فنان صاح لايضلل وان فنه مراوحة بين الوقائع والقيم، بين الشاغل الاخلاقي والشاغل الجمالي.

يسمع وفيما يقرأ وفيما يعيش، ففي المسافة التي امعن فيها الفنان النظر تقف لذة الغناء والدخول الى المغامرة الغنائية، ولم يكن من الممكن حتى عام ١٩٣٧ أستشفاف شكل آخر من أشكال الحساسية يغاير رغبته في الغناء ، لكن الغناء الذي يقول رأياً ويصنع موقفاً ويتبدى صاحياً خلاقاً، ذلك ان الواقع العراقي في تلك السنوات الباكرة من حياته كان مليئاً بتكهنات العراقيين! وكانت الحياة السياسية تضطرم في العباب العظيم للحياة العراقية والعربية الشاملة، وكانت مشكلات الانسان في العراق قوية وعميقة ومتشعبة والانسان العراقي في تلك السنوات كان مغروساً في التراب لأزماته النفسية والصحية والتربوية والتعليمية ، بل ان هذا الانسان طالما قد عقد على جلده واجب العناق للارض التي حملته.

الدخول الى..

كان قرار عزيز علي بوجوب الدخول الى واحة الفن المعبر، قد دلّ على ان فكراً أخلاقياً ونزعة انتقادية جريئة للواقع العراقي قد دخل كل ذلك الى الحياة الواقعية. ان عزيز علي طرح نفسه منذ البداية، على انه فنان صاح لايضلل وان فنه مراوحة بين الوقائع والقيم، بين الشاغل الاخلاقي والشاغل الجمالي، وهو فن يخص الانسان، الذي يعيش في حضن، بشرية لها يقينها ، لذلك يمكن القول ان المونولوج الذي قدمه عزيز علي لايكمن في البيت الزجلي، او الغنائية او الطرافة، بل في اشراق مادته الموضوعية التي تهم كل الناس ، وفي نسيجه الفني وما فيه من أستفزاز الحساسية والروح الوطنية والقومية، والمونولوج الانتقادي السياسي الذي طبع فن عزيز علي ، انما كان ينشد حقيقة ، واقعاً كشفاً، انساناً ، وايضاً كان المونولوج يصدم لأنه محمل بكمية من لذة المصارحة الواعية، هم الحرية او الدعوة للحرية ، الاحساس بأن العدل أساس الملك، سحر اللامتوقع.

الاستثناء الابرز

ويبدو ان الطريقة المثلى لفهم احدى المراحل الغنائية في تاريخ الغناء العراقي المعاصر، أو غيره انما تتمثل في فهم شخصيات هذه المراحل، التي من المؤكد ان عزيز علي احد ابرز هذه الشخصيات المرحلية في الغناء العراقي المعاصر ، ذلك ان من اهم مقومات الحضارة الغنائية هي تلك النوازع والنزعات الارادية التي تتمرد على حساب الارباح والخسائر، اذ انها وبكل تأكيد تعتمد مبدأ العطاء والتضحية ، وكذلك تعتمد التغني بمزايا الوجدان واندفاعات البديهة التي تتدفق تدفق الينبوع من الارض.

واذا كان عزيز علي ، هو الاستثناء البارز من الاصوات الغنائية التي نمت بعيداً عن التأوهات والميوعة والتخاذل النفسي فأن مجمل الحكم يقوم على ان الصوت العراقي قد أعترته بعض ملامح الابتعاد عن اصول التربية الفنية والعلمية في الغناء، فأن هذا الابتعاد كان يتوخى من وجوده غرضاً اشكالياً واثراً مثمراً في استطالات الحواس وفي تنميتها، لذلك يمكن القول ان اعظم ما نطمح إليه، هو تحقيق حضارة الغناء العراقي، حيث ينبثق المحدود من اللامحدود وتتجلى الاصول من الثوابت وتتجدد الملامح من المتغيرات والحضارة في الغناء ليست وهماً، وأنما هي حقيقة تولد وتنمو في تربة بيئة يمكن تحديدها تحديداً جغرافياً دقيقاً، كما هو الحال في جغرافية العراق، وفيها ما فيها من امكانات باطنية هائلة على هيئة لغات ومذاهب وكنوز وفنون وعلوم ومعارف وخبرات.

احد الاصوات التاريخية

وان لكل حضارة صيرورة واتجاها وزمانا ومصيرا وتاريخا، وان للحضارة الغنائية والموسيقية دستورا اخلاقيا يتمثل اول ما يتمثله في العقيدة الفنية لمفهوم الغناء، فهذه العقيدة لاتعتمد العقل وحده، أنما تعتمد ايضا الوجدان الممثل في الشعور ثم تتابع هذه العقيدة الفنية تطورها في الاصوات ذات الصفة التاريخية ، بمعنى ان التاريخ يضم كثيراً من الاصوات التي مرت على ساحة الغناء العراقي أو غيره ، لكن النادر من هذه الاصوات من امتلك الحس بالتاريخية ، بمعنى انه تطور روحياً مع تطور أدائه العلمية والفنية الى جانب ذلك فأنه يتطور ايضاً بما لايحس به من العزائم والاخلاق، ويقيناً ان صوت عزيز علي هو احد الاصوات ذات الصفة التاريخية، لان الغناء في صوته لايصبح مادة للثراء المادي والوهم والضياع، حيث تنحل الضمائر ويصبح الاتقان مادة يقاس بالباع والذراع ويقدر بالقنطار والدينار! والاسماع هي الاساس في عمل كل غناء وفن وموسيقى في الحضارة الغنائية، تتفاعل الاسماع مع الصوت الغنائي بدثار من الوجدان والضمير، لا كما يحدث. اليوم. ينشأ هذا التفاعل نتيجة للمصلحة المادية لمجموعة لاتجمع بينهم رابطة الفهم المعرفي لأصول الغناء.

نوعان من الاداء

بل المصادفة، تلك التي تجعل من هزّ البطون والارداف على المسرح هو امتياز للمغنى الجديد! وعليه يمكن تصور تقهقر السياق لأصولي للغناء ولوجوده العريق يعود الى انتقاء حالة القلق عند المغنى هذا الانتقاء يقوى كلما أظهر المغني براعة في هزّ اعضائه الجسدية على المسرح ، بينما في الحضارة الغنائية الوقورة التي يمثلها عزيز علي ورهط من المغنين الكبار، فأن القلق الدائم هو الذي يبعد عن ساحة النفس عند المغني الطمأنينة الباطنية مما يزيد إصراراً على التجديد والتحليق لأعلى.

والصوت الغنائي هو رمز وهو تعبير عن الصلة بين القيم الغنائية والعصر الذي امتدت على فرشته تلك القيم، حيث يتحول الاتجاه الغنائي لعصر ما الى امتداد كما هو الحال في مصر عندما اصبح "سيد درويش" ١٨٩٢. ١٩٢٣ هو صلة الامتداد بين(الماضي) انجازات القرن التاسع عشر و(الحاضر) القرن العشرين، وكما هو الحال عندما تابع خلفاء سيد درويش، (محمد عبد الوهاب) ١٨٩٧. ١٩٩١ (محمد القصبجي) ١٨٩٢ . ١٩٦٦ (زكريا احمد) ١٨٩٦ . ١٩٦١ (رياض السنباطي) ١٩٠٦. ١٩٨١ (فريد الاطرش) ١٩١٠. ١٩٧٤ أنجازات هذه الصلة!

الغناء العراقي

الغناء العراقي الذي هو جزء من الغناء العربي له وجود روحي يكاد يكون مطلقاً في روحانيته، لأن الامة العربية هي امة قرآنية وأمة الانبياء والرسل وقد صدق (ابن خلدون) حينما وصف العرب قائلاً (والعرب اسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذمم الاخلاق).

وعليه يمكن القول ان الغناء في امة العرب قد ضغط في السنوات القلائل من نهاية القرن التاسع عشر والعقود التالية من القرن التاسع عشر والعقود التالية من القرن العشرين، جميع العواطف الانسانية داخل البقعة الجغرافية العراقية والعربية المدخرة والمؤجلة في آن واحد تلك التي تكفي ان تملأ قروناً وقروناً من التاريخ، فالزخم الذي يفيض من الغناء العراقي زخم صوفي وشعوري ووطني وقومي وهو لايستهدف ابداً في كل نشاطاته توفير الاسباب التي تيسر المتع، بل انما يستهدف اولاً واخيراً الاندماج في النظام للغناء.

ترى هل يستطيع الغناء العراقي ان يعرض على العين المبصرة خصائص عظمى معينة مرة بعد اخرى، خصائص لها ما لها من متانة وثبات كافيين كي يوصل الاسماع . صاحبة المصلحة الحقيقية في اية ترقية غنائية . الى نتائج حقيقية تهدف الى فتح مجار من الخواص غير المرتادة، تعطي للغناء الاصولي التقليدي (عزيز علي) مفهومات، جديدة من الانسجام مع روح الحياة؟ سنقول ان اشكال الغناء هو قانون أزلي من الصعب التفكير باضافة سلاسل جديدة لقوالب الغناء ومن حيث الصفات والقواعد والانماط والمدارس والاتجاهات والاحكام، وانه من اليسير علينا أن نرى ان الحقيقة العميقة في الغناء العراقي من قوة الصوت ورقته وعذوبته وجرسه وصلصلته وأحساسه وقيمته الفنية وحركة نبراته ونطقه وجزالته تنبع من مبدأ وتتدفق من حس الضرورة التاريخية، فنحن لانزال في غنائنا العراقي بعيدين كل البعد عن اية تقنية علمية دونما مخطط او وحدات علمية من البحث والاستقصاء النظري والعملي ن فنجاح صوت غنائي عراقي يعود الى الحظ وأقل ندرة الى الغريزة الفنية، ونستثني من هذا التحديد صوت عزيز علي ! لأنه صوت المطالب الوطنية والقومية والانسانية ولأنه أرهص ملكاته لقضية الحرية والعدل والمساواة والكرامة الانسانية ، وعليه لم يسبق لأي دراسة ان ادركت من قريب او بعيد، أن هناك منشأ أو حذراً ينمو عليه حل عريض وواسع لمشاكل الغناء، والاصوات الكبيرة التي مرت في الغناء العراقي عبر اكثر من نصف قرن كانت تنمو تحت رعاية ذوقية غريزية تقليدية ، هذه الاصوات نمت وكبرت وأثمرت في شجرة الغناء العراقي ، كانت بعيدة عن نموذجية الرؤية التاريخية والعلمية لفن الغناء ، من خلال الادراك الكلي للتركيب الخارجي والداخلي له ومن حتمية الفرق بكل وضوح بين الأثر الجوهري الغناء وبين الاثر الميكانيكي له، بين محتوى الخيال وبين القانون الفني للغناء، بين الصورة والنموذج وبين المعادلة والنهج، بين الغناء الواقعي الاني، وبين الغناء المحتمل دائماً وان اسماء مثل (عثمان الموصلي، احمد الزيدان، محمد القبانجي ، عزيز علي ، سليمة مراد ، ناظم الغزالي ، حضيري ابو عزيز، داخل حسن، صديقة الملايا، رضا علي، محمد عبد المحسن، مائدة نزهت ، زهور حسين، وحيدة خليل، ياس خضر، حسين نعمة،فاضل عواد ، فؤاد سالم، رياض احمد) هؤلاء وسواهم أمثلة على رقعة جغرافية تمثلت فيهم.مدينية الغناء، ذلك ان اية سيرة شخصية لفن الغناء ، تستقطب اول ماتستقطب روح البيئة التي انطلق منها. وحسنا في الغناء وبصيرتنا الداخلية يريان بالتأكيد في اسماء عراقية في الغناء كما لو انها تمثل تتابعاً في الماضي لكي يتصل هذا التتابع الى ساحة الحاضر، اذن ماهو الغناء العراقي؟

انه بالتأكيد عرض منتظم للماضي بكل قوالبه وقوانينه واشكاله وبيئاته والخروج على هذا الماضي يشكل نقطة البدء نحو التسطيح والانحدار والحق ان قوانين الغناء ليست رأياً شخصياً، انما هي نتاج عائلة كاملة من الاذهان على مستوى حقب التاريخ، ورثها جيل عن جيل سبقه من خلال امتزاج العلم الموسيقي بافكارنا الفطرية عن فن الغناء، الى جانب ذلك مايطرحه العصر من متغيرات تكون عوناً على ترسيخ اصولية الغناء لا ان تكون تمرداً عليها، ولنتأمل عزيز علي العصامي، الفنان المجتهد، المؤسس لفن المونولوج الانتقادي السياسي والاجتماعي ، ان مفاهيم هذا الفنان تكمن عميقاً في لون حنجرته الفحولية، الرجولية وطريقة اخراجه للكلمة الغنائية وعمق أحساسه باللحن الذي يؤديه ، وهو لحن يمكن أطلاق تسمية (الالقاء الملحن)، أو (التلاوة الملحنة)،عليه نجد انه لم يتأثر بأحد بل بقي مبتكراً لطريقته الالقائية التي تشد الاسماع ، لبلاغته الادائية وبراءة لسانه من عوج الكلمات وأمتلاكه ناصية الوضوح النبري، كل ذلك أهله لأن يحتل موقعاً من التاريخ ويقف على قمة من المواقع على اختلافها.

وعليه فأن المشابهة بين تلك المراحل من تطور الغناء العراقي ، يقوم على الالتزام باصولية الغناء، أما المشابهة السطحية ، تلك التي تجمع المراحل ، فهي مكيدة عظمى وقعت في شباكها جميع الاراء التي تحدثت عن فن الغناء العراقي، بأعتباره قيمة ليست قابلة للمس أو التغيير! بينما الحقيقة ان الاداء الذي يجب ان يحتل حيزاً من الاهتمام، هو الذي يحاول التنسيق بين هذه المراحل ونقدها ثم ترجمة مغزاها الروحي العميق الصلة باسماع الفئات الشعبية.

فن المونولوج

وهكذا قدر للفنان عزيز علي ان يدشن عصراً جديداً في الاغنية،.فن المونولوج .وسط قوالب الغناء العراقي العسيرة ، المقام العراقي ، الاطوار الريفية ، الاغنية البدوية ، الاغنية الموصلية ، الاغنية البصراوية ، الاغنية البغدادية ، وعزيز علي ظل حتى رحيله بغدادياً في نزعته وميله وفي دمه، ولعل من المفيد ان الحديث عن اقتران اسم بغداد، مدينة الفطنة الانسانية، بأحد مونولوجات عزيز علي الشهيرة، وبالتالي فأن بغداد أمتلكت ملامح التشكل الحضاري لها، وعليه يمكن القول ان المدينة هي المصدر الذي يستقر فيها التكوين الحضاري وبغداد مدينة الصلابة والعصر الفكري والخلق الابداعي والروحي ، تدفعها الى التمدد والابهار ضرورة باطنة وتتفجر على غير انتظار منابع الحياة والنور في هذه المدينة الباسلة ، لذلك فكان جديراً لما لبغداد من صفات وتكوينات وتفريغ وحيوية تتجه في مجراها الى الباطن، لأنها مدينة المقومات ، فكان من حظ الاغنية لعزيز علي ان ترتبط بأسم بغداد وتراثها الثر وكانت مونولوجات عزيز علي قد أخذت تقرع اجفان الزمن.. وتستدر من مآقيه الدموع، وأخذت الاغنية عند عزيز علي تمر بمراحل بارزة من مراحل مسيرة الغناء العراقي المتقن فهي تتحسس طريقها الى افئدة الناس، لأنها تمس وجداناتهم في أعز مطالبهم ، وهي الحرية والخبز والكرامة.

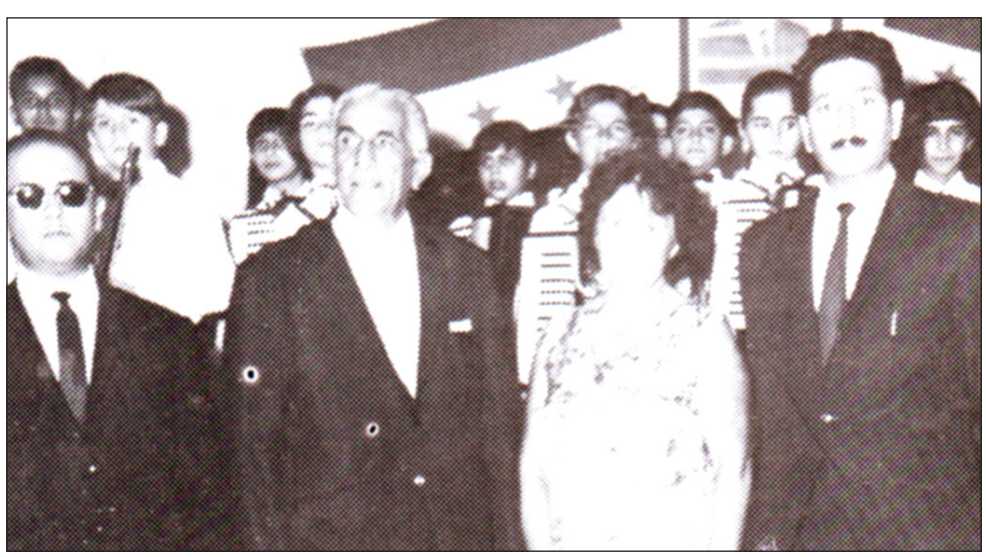

عزيز علي في الذاكرة العراقية

المحرر

ربما لانغالي إذا صنفنا عزيز علي ضمن رعيل عراقي أسس لمشروع نهضوي ذاتي متعدد الإختصاصات والمواهب، وكأنه شكل رد فعل معاكساً لقرون الدعة وحرك نزعة للإنعتاق العراقي، فكان من جرائها ان تتجدد حضاراته في الجغرافية برغم متغير التاريخ. وتجسد هذا الطموح في كل مناكب الإبداع من فنون وآداب وعلوم، و كاد يعيد للعراق مقامه الأزلي. بيد أن المؤامرة كانت أقوى و أن أصحاب الشأن، شان عليهم الأمر فأجهض المشروع وشتت أو أهمل أهله. لم يكن العراقي يعير مصدر الإعارة أهمية، تماشيا مع قدراته في مواءمة القادم والجديد مع واقعه وخصوصيته. فالمونولوج طرق غربي للغناء،أقتبسه العراقي عزيز علي، ويمكن أن يكون مشرئبا الى الجذر الشرقي الذي دعي عند الأسبان (طروبادور) الواردة من كلمة(طرب) العربية،

او المطرب الذي ينقل هموم الناس ملحونا ودون قيود شعرية قسرية،وهو ما يدعى لدى المغاربة اليوم غناء (الراي). وكلمة (مونولوك monolog) تعني حواراً مع الذات أو الخطاب الفردي أو بمعنى (الهذير).والكلمة معاكسة لكلمة (ديالوك Dialog) التي تعني الحوار مع الآخر. وبالرغم من أن الكلمة وردت من مصر الثلاثينيات ويذهب البعض الى أنها تعود الى الفنان الشيخ سلامة حجازي، لكن فحواها يمكث حوار القلب للقلب، ومواساة هموم الناس وطرح عفوي وتبسيط دون تسطيح لمفاهيم عميقة. وهنا نشدد على تلك الموهبة الفذة التي جمعت بين الشعر والتلحين والأداء لدى عزيز علي، والتي لم تتوفر إلا ما ندر لدى أصحاب المواهب. وطرقت الأهزوجة والمثل الشعبي والقصة والطرفة في حبكة شعرية مبسطة مفهومة وجميلة من كل طبقات المجتمع، وكل يفهمه بحسب مستوى إدراكه.

وما تزال قصائد هذا الفنان المغناة حاضرة في الوعي العراقي بما ألتزمته من موقف للمكارم وحملت في طياتها هموم الناس وآهاتهم اليومية. وتميَز عزيز علي بنقده اللاذع حد التهكم لسلبيات الواقع المرير الذي عاشه العراقيون،ولم يدخر جرأة ولا مبادرة في نقد الأفكار والعادات المتخلفة وهاجم دون خشية مظاهر الدجل والشعوذة والإفتعال الزائف والتصنع، ولم يدخر وعيا لغويا ونفسيا إلا وجسده في تناول الامثال والجمل الشعبية البغدادية. لقد كان له موقف سياسي نقد فيه جميع الحكومات المتعاقبة على العراق، ولم يتزلف أو يحابي كسبا للإمتيازات التي شاعت إبان العقود المتأخرة وسرى مفعولها اليوم، ودافع عن حق المواطن بالوجود وأرجع الأمر الى المستعمر وأذنابه، وكأن الحياة تدور دورتها كل مرة، بمهزلة أو تراجيديا كما قال أحد الحكماء.

كانت ميزة مونولوجات عزيز علي التجديد، والعضوية التي جعلها نافذة لكل زمان ومكان. ومن يسمعها أول مرة يظنها نقداً لأيامنا الحاضرة، حتى تفاجأت الأجيال الصاعدة من قوة الرمزية و__(الحسكة) الشعبية في جنباتها، بالرغم من تقادم الزمان عليها وإختلاف المفردات وإختلال المعايير الجمالية أو حتى زوغان المفاهيم الأخلاقية عن سالف عهدها. كل ذلك جعلها تسمع بشغف من طبقات الوعي العراقي بعد سقوط الصنم،و تناقلتها الفضائيات والإذاعات بما لمسته فيها من حمل للهم و متنفس للتضامن مع من يشعر بالغبن بعد عقود الطغيان. وهكذا شعر الناس بالسليقة، مبدئية عزيز علي، بما زاده أحتراما وشغفا بفنه.

ولد عزيز علي في بغداد- محلة الشيخ بشار- عام ١٩١١ ودرس في المدرسة الثانوية المركزية ودار المعلمين الابتدائية وعين كاتباً في دائرة الكمرك والمكوس عام ١٩٢٧ قدم عزيز علي مونولوجاته عند تأسيس اذاعة بغداد عام ١٩٣٦ حيث نظمها بالعامية ولاقت نجاحاً كبيراً لتناولها قضايا ومواضيع اجتماعية ووطنية بصورة لاذعة.. ونقلت خدماته بعدها الى وزارة الاعمار والى مديرية الاذاعة عام ١٩٥٧ عاد مرة اخرى الى وزارة الاعمار ثم عين ملاحظاً في السفارة العراقية في براغ عام ١٩٦٠ ونقل بعدها الى تونس بعد سنتين وأنهيت خدمته لكنه عاد الى الخدمة بعد انقلاب ٨شباط عام ١٩٦٣ حيث عين في وزارة الثقافة والارشاد وفي عام ١٩٦٨ عهد إليه تأسيس مدرسة الاطفال الموسيقية، سجن عزيز علي في عام ١٩٤٧ بتهمة انتمائه الى الماسونية..

لقد أرخ عزيز علي فترة تاريخ العراق المعاصر بمونولوجاته التي تؤرخ للقضايا الوطنية وحراك الحرية من الاستعمار واذنابه، ونجد في مونولوجه « البستان» مثلا تشبيه العراق رامزا له ببستان يقطف ويجني ثمار هذا البستان الانكليز واتباعه، وقد هاجم مجلس الاعمار عندما اراد بناء اوبرا في وقت تعاني مدن العراق الفقر والتخلف في مونولوجه الذي يقول:

الله من ينطي يغطي بلادنا عمرت ترى
ونبني فندق هلتون ماكومنه بالكون
على عناد العاندونا كلفته جم مليون!

ونقدت مونولوجاته شخوصا وجهات منها السفير البريطاني في بغداد في «صلي عالنبي «الذي اذاعته على الهواء دار الاذاعة العراقية في بغداد.

وفي قصيدته « عيش وشوف « ينتقد النظام السياسي والحكومة البريطانية وخاصة سفارتها لكن ميزة قصائد عزيز على انها لاتذكر فيها الاسماء خوفاً من بطش الحكومات بمعنى أنه ينتقدها بصورة غير مباشرة:

عشنا وشفنا وبعد انشوف قرينا المحي والمكشوف
ماظل فد شي مو معروف عيش وشوف عيش وشوف
عشنا وشفنا بها الدنية كل الادوار
وزين فهمنا الوضعية من احنا زغار

ولم يتخذ عزيز علي من مونولوجاته دعاية ووسيلة للتزلف أو المداهنة،ولم يتصعلك أو يبتذل بل تمتع بشخصية متزنة وقورة أكسبت فنه الإحترام. و توفي في ٢٤ تشرين الاول عام ١٩٩٥ بعد أن همشته السلطة البعثية،مثله مثل كل رموزنا الفكرية والإبداعية التي كان مصيرها النسيان أو النفي ومن ثم النسيان.ولم يظهر بعده من يقلده أو يحاكي اسلوبه بما يعني أنه رحمه الله كان ذاتا شكل مدرسة قائمة بذاتها.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب